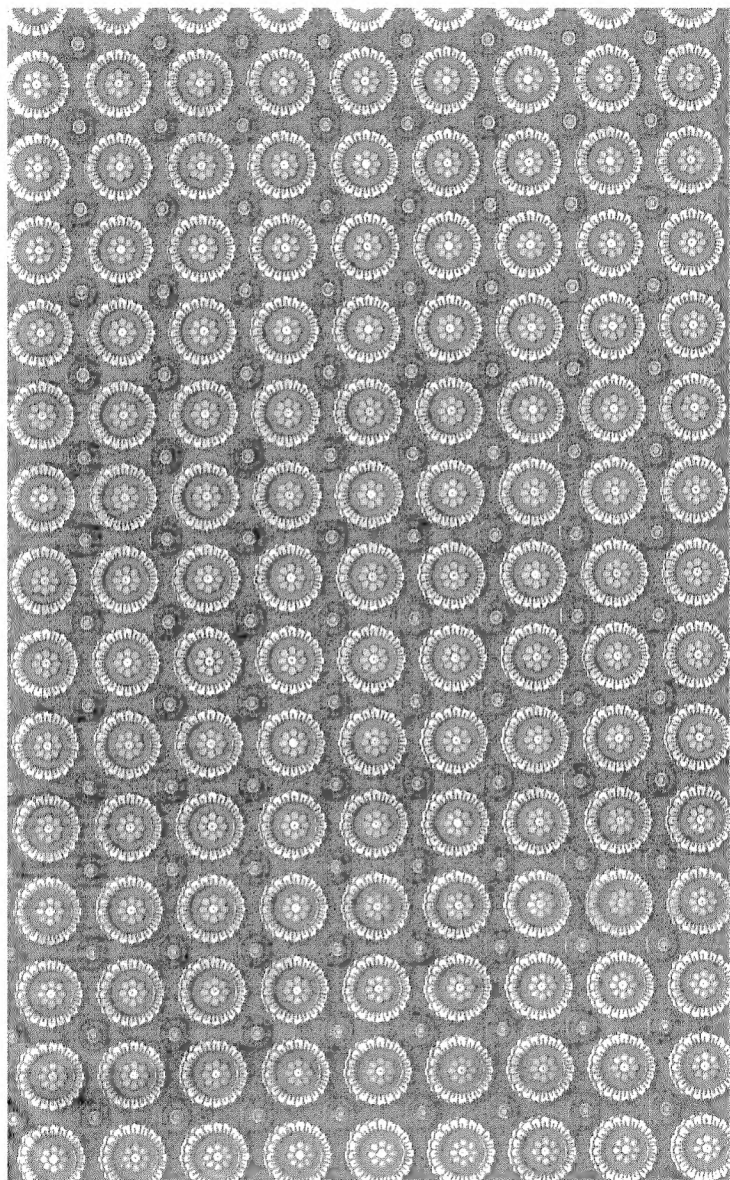


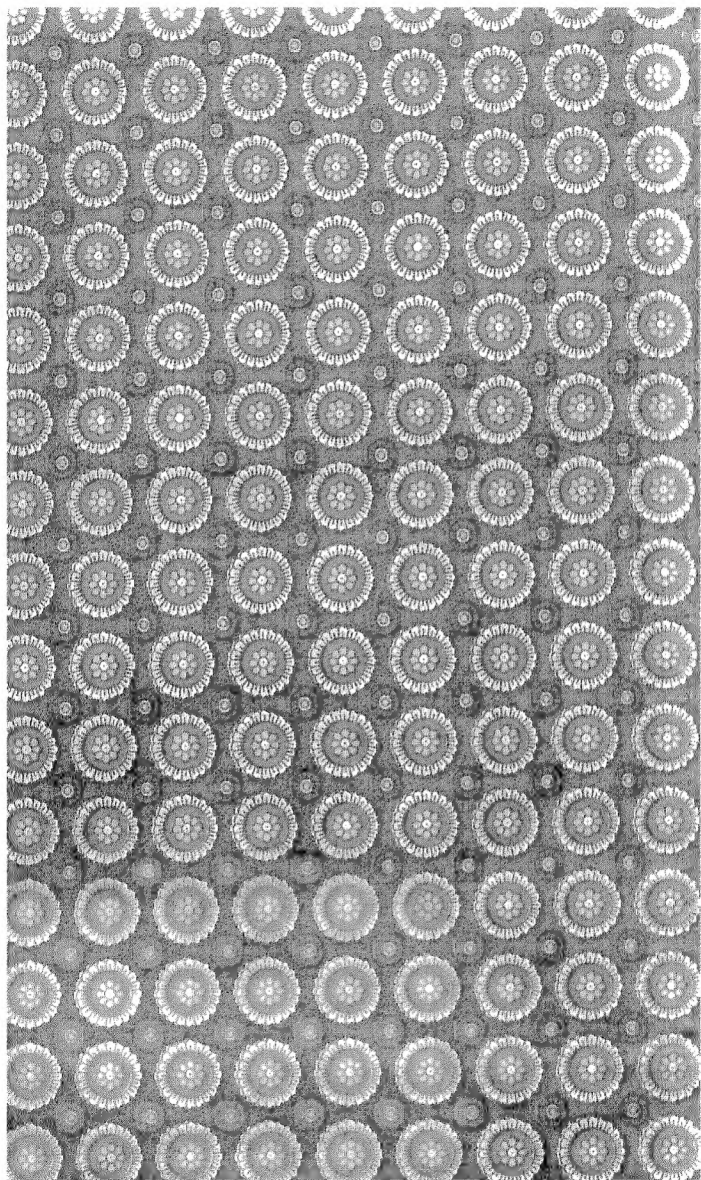


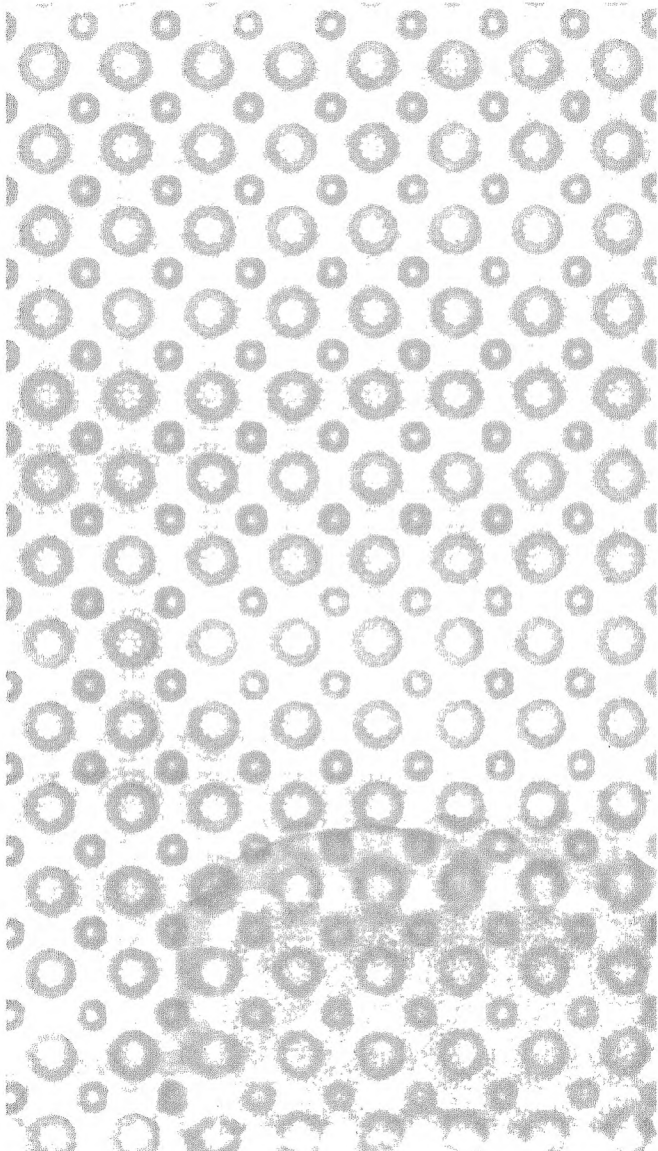
Bibliotheca Alexandrina



0018204







مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عَنِي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَاصْحَاحِهِ

الْأَبِ لُؤْلُؤِ شَيْخِ الْيَسْعَى

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

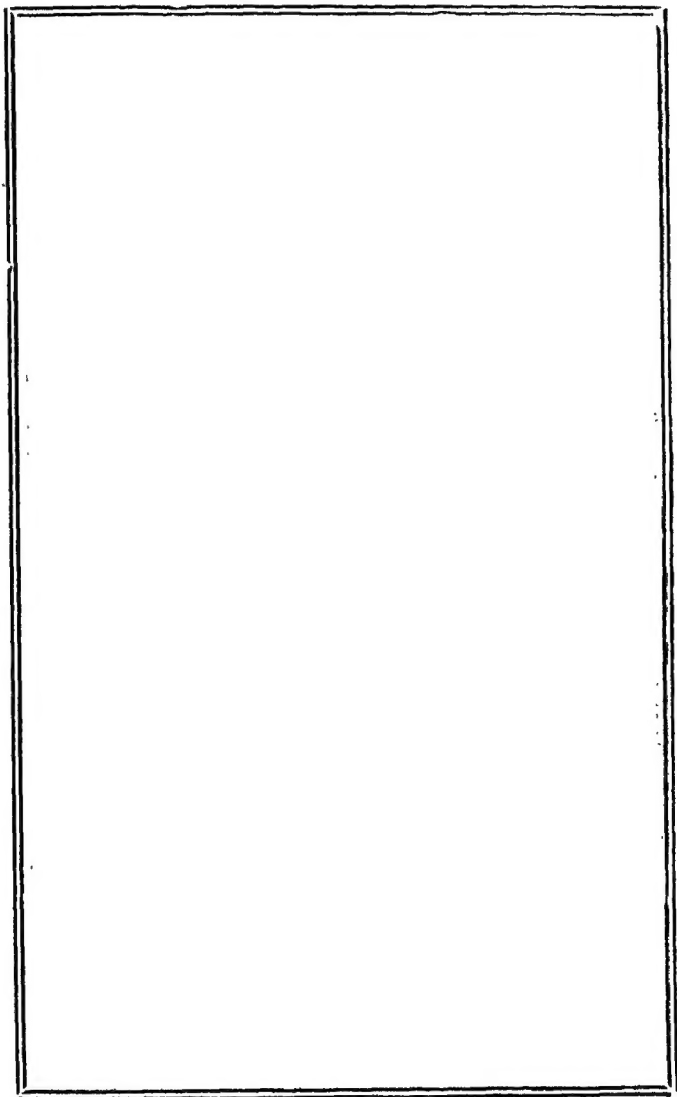


مَطْبَعَةُ الْآبَاءِ الْيَسْعَى

يَرُوت

١٩٣٨

حَقُوقُ طَبْعِهِ مَحْفُوظَةٌ لِّلْمَطْبَعَةِ



الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدْنِي

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْتِقَالِ . تَلَاوَتْ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَاثِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الأبيحي للبحر حافي)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمَيِّتِينَ . وَقَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْيَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَخَرَّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدْبِرَاتِ . وَمَزِينَهَا بِالنُّجُومِ
الْثَوَابِتِ وَالسِّيَّارَاتِ . وَمَقَرَّرَ الْأَرْضِ وَمُجَمِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ ، وَكَثُرَتْ
أَعْوَابُكَ وَنَعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرُمَتِكَ
(عجائب المخلوقات، للقرظيني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظُمُ عِشْدَا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْأَبَدِيُّ بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَأَخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُوَبَّدًا
تَسْبِيحُ بَصِيرِ عَالَمٍ مُتَكَلِّمُ قَدِيرُ يُعِيدُ لِلْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدُ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْفَتَهَا قَدِيمُ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهُ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا يَنْجُوهُ تَحْوِي الْأِلَاحَةِ وَلَا لَهُ مَكَانُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذَا الْكُونُ مَخْلُوقُ وَرَبِّي خَالِقُ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمُ الْعِزِّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَبِيهُ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُحَدِّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينُهُ فَذَلِكَ زَنْدِيقُ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ تَرْوِيهِ مُسْنَدًا
رُويَ أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :
الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَتُرَكُّ أَلْتَبْتَ فَقَدْ شَرَحَ يَطُولُ

ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ
 أَنْ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا
 أَنْتَ أَكْثَرُ الْخُبْرِ لَا تَعْرِفُهُ
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي
 كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 فَهُوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ لَهُ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفُوقِ لَا فَوْقَ لَهُ
 جَلٌّ ذَاتًا وَضِفَاتٍ وَعَالًا
 ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقَ الْفُحُولِ
 تَذَرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُثُولِ
 هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يَوُولِ
 بَيْنَ جَنَبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولِ
 هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحُولِ
 وَهُوَ فِي كُلِّ انْتَوَاحٍ لَا يَزُولِ
 وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقِ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَوَرْدُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَائِخَاتُ
 وَرِيَّاحٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ
 وَدَرَارٌ بِكُمْ وَتَمْسُ وَبَدْرُ
 حِكْمُهُ تَاهَتْ الْبَصَائِرُ فِيهَا
 وَضَعَ الْحَقُّ وَاسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَوَعُورٌ مُجْهُولَةٌ وَسَهُولُ
 وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسُيُولُ
 وَسَحَابٌ يَسْقِي الْجِبَاهَاتِ ثَقِيلُ
 وَنُجُومٌ طَوَالِجُ وَأَفُولُ
 وَأَعْرَافُهَا دُونَ الدُّهُولِ ذُهُولُ

قَالَسَّمَاوَاتُ السَّعْبِ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحُجُبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُنْسِكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَنَحْيِي الْحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهَوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سَرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصْرَتْ عَنْ مَدَى عِلَّاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَلَهُ الْعِزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَذُولُ
 أَلَقَتْ بَرَّةُ الْبَرَايَا فَهَمَّ فِي رَحْمَةِ ظَاهِمَا عَلَيْهِمْ ظَالِيلُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعَمَ الْوَكِيلُ
 أَخِي قَلْبِي يَمُوتُ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَنْلِي إِنْ الْكَرِيمُ يُنِيلُ
 وَأَجْرِي مِنْ كُلِّ خُطْبٍ جَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوُشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَأَقْتَدِنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقْلِنِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقْبِلُ
 كَيْفَ يَظْلَمَا قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرُ زَاخِرُ طَافِحُ عَرِيضُ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحَا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَافِيكَ وَالرِّضَا مِنْكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نخبة من متن بدء الامالي في التوحيد

٦

يَهْوُلُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنْظَمِ كَلَّالِ
 إِلَهِ الْخَاقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمَقْدَرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنُ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صِفَاتُ الدَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 تُسَمَّى اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى
 وَمَا إِنْ جَوهرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدِّيَانِ وَفَتْ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاتٌ وَنَعْمَى
 وَلَا يَقْنِي الْحَجِيمُ وَلَا الْجِنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بغيرِ كَيْفٍ
 فَيَسْئَلُونَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَدِيمَاتُ مَصُونَاتِ الزُّوَالِ
 وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ أَلْسِنِ خَالِ
 لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
 وَلَا كُلُّ وَبَعْضٌ ذُو اسْتِمَالِ
 بِمَا وَصَفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ
 فَصْنٌ عَنْ ذَلِكَ أَصْنَافُ الْأَهَالِي
 وَأَحْوَالُ وَأَزْمَانُ بِحَالِ
 تَفَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي
 فَيُخَيِّرُهُمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ
 وَلِلْكَفَّارِ إِذْرَاكُ النَّكَالِ
 وَلَا أَهْلُوهَا أَهْلُ انْتِقَالِ
 وَإِذْرَاكُ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
 فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

٧

أَعِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَنْسِبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانِ
 وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالِ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَذْيِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 بَلِّغْ بِهِ نَوَائِبُهُ نُشَيْبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجُورِ وَالْجَارُ الْبَرِّ
 طَوْتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ عُسْرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابٍ
كَرِيمٍ مُنْعَمٍ بِرُ لَطِيفٍ
حَلِيمٍ لَا يَعْجَلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
وَأْمُرْ ضَنِي الْهُوَى لِهَوَانِ خَطِيٍّ
وَعَانِدِي الزَّمَانُ وَقَلِّ صَبْرِي
وَعَدِّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدَوِي
وَأَنْسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكْنِي نَبْذَتْ زِمَامِ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي
إِلَهِهِ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي
وَكَمْ مُتَمَتِّقٍ يَخْفِي عِنَادَا
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّحِ الْهُوَى مُسْتَضْعَفٍ بِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْأَكْرِ يَسْعَى
فَيَا دِيَانَ يَوْمِ الدِّينِ فَرِّجْ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفْرِيجٍ نَائِبَةٍ تَوْبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُحِيبُ
رَحِيمٌ غَمٍّ رَحْمَتُهُ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثِي الذُّنُوبُ
وَأَكُنْ لَيْسَ عَيْرِكَ لِي ظَلِيلُ
وَصَاقُ بَعْبِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ قُدْبِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَلَا أُنِيبُ
فَهَلْ يَأْسِدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سِرِّتِهِ رَقِيبُ
وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَصَمْتَ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَعْيِي بِهِ يَوْمَ تَصِيبُ
هُومًا فِي الْهُوَادِ لَهَا دَلِيلُ
إِنِّي وَتَبَّ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي وَشُدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنْ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَالَعِهِ غُرُوبُ
وَالْهَمْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطْيِبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الإتهال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
سَمَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَعَزَّزْهَا وَذَلَّلَهَا وَغَنِيَهَا وَقَعَزْزُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَرَّهُمْ بَيْنَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ حُجَّتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعُيُونُ تَرَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوجُودِهِ تَعَفُّو الطُّنُونُ وَتَحْرَسُ الْأَفْوَاهُ
وَالِيهِ أَذْغَعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَّتْ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
طَوَعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ بِالْغَيْبِ تَوَثَّرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ
وَلَهُ سُجُودُ أَوْجَةٍ وَجَبَّاهُ وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّوعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَّاهِ غَيْرُهُ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَّاهُ
أَبْدَى يُنْجِصُكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْقِهِ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
وَدَحَا بِسِيطِ الْأَرْضِ قَرَشًا مُشْتَبَا بِالرَّاسِيَاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
رَبِّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْخَضِرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أَوَّلَى وَكَمْ مِنْ كُرِّيَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَافَاهُ
فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرِّيَةٍ أَوْ كُرِّيَةٍ قَادَعُ الْإِلَادَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
لَا مُحْسِنُ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ بَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
وَجَلِيمِهِ سُجَّانُهُ يُعْصَى فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى عَبْدٍ عَذَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَدِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرقي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ قَانَ لِدَائِمٍ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحُ شَاكِرٍ لِمَعْرِفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَجُودُكَ مُوجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجِي لِكَشْفِ الْعِظَامِ
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
فَيَا قَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبَرِ وَالنَّوَى وَيَا قَالِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْجِثَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُخْصِي الْأَوْدَاقِ وَالْتَبَتِ وَالْحَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُطْرَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
وَمُؤْنِسَ فِي الْأَقَاقِي وَحُشْرِ الْبَهَائِمِ
وَرَمْلِ الْفَلَاحِدَا وَقَطْرِ الْعَمَامِ
وَحَقْفِ عَنِ الْعَاصِينَ ثِقْلَ الْمَظَالِمِ
مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمِ
أَذَلَّ وَأَفْنَى كُلِّ عَاتٍ وَغَاشِمِ
يَسْتَرِ خَطَايَانَا وَنَحْوِ الْجَرَائِمِ

وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبِ مُهِمِّ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمِيرُ النَّاهِي الْمُدِيرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفٌ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَسْتُ تُوبَ الرَّجَاوِ النَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
وَقُتِلَتْ يَاعِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِيَةٍ
فَهَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتِمِدُ

لَقَدْ مَدَدَتْ يَدِي وَالضُّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَى اللَّهَ مَعَكَ وَأَتْرُكُ الْكُلَّ وَحَازِرَ طَمَعِكَ
وَأَلْزِمِ الْقَنَعَ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسْمَعَ
بِالْصَّفَاحِ كَدْرَ الْحَسِّ فَبِغْ وَأَطْرَحِ الْأَغْيَارَ وَأَتْرُكْ خُدْعَكَ
لَا تَبْهَوْهُ بِكَ وَأَطْلُبْ مِنْكَ مَا فَرَّ مِنْ يَوْمٍ بِشَانِ ضَيْعِكَ
نُورُكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا وَأَحْذِرِ الْأَضْدَادَ تُطْفِئُ شَمْعَكَ
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَّتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضُّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ أَذَاهُ أَحَدٌ وَإِنْ أَسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَكَ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقْ بِهِ وَأَحْزِرْ لِلْغَيْرِ تَشْهُوَّ وَجَمَكَ
لَا تُؤْمَلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرَ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَى الْوَالِي أَخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

ثَابِتًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْتَ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
أَحْشِطْ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رَمَتْ فِعْلًا أَوْ تُكَادِي سَمْعَكَ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضَعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ بِهِ وَأَهْجُرْ بِدَعَاكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمَكْنَا فَأَمِنُ عَلَىٰ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْفَسَا
وَلَنْ رَضِيتَ فَذَاكَ غَايَةَ مَطْلَبِي وَالْقَصْدُ كُلُّ الْقَصْدِ بَلْ كُلُّ الْمُنَى
لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا أَمْرًا حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هَبْنَا
وَبَقِيتُ فِي نَجْلِ كَعْبِدٍ قَدْ جَنَى وَالْكُلُّ مِلْكُكُمْ فَمَا مِنِّي أَنَا
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِبْجَادِي كَمَا أَنْعَمْتُمْ أَيْضًا بِكَوْنِي مُؤْمِنًا
لَوْ لَا تَطَوَّلَكُمْ عَلَيَّ وَفَضَّلَكُمْ مَا كُنْتُ مُوجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْمَعُ وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ لَوْ عَمَرَ الْأَبْدَيْنِ يَشْكُرُ مُعَلِنًا
وَأَنَا الْمُسِيكِينُ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ لِلْعَفْوِ مِنْكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
فِي إِيْسِيكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ مَنُوا عَلَيَّ وَأَذْهَبُوا عَنِّي الْفَسَا
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفَتْ وَدَعَتْ أَيَّامُ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِدُّ بَغِيرَ وَجْهِكَ مَنَظَرًا وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رَكَ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
 أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عَلَيَّ مِنْ ثَنَائِكَ
 مُتَجَبِّ فِي غَيْبِكَ أَا أَحْمِي مَنِيْعٌ فِي عِلَائِكَ
 وَظَهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَا أَفْعَالٍ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
 عَجَبًا خَفَاؤِكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورِكَ مِنْ خَفَائِكَ
 مَا الْكَوْنُ إِلَّا ظِلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشِعَّةُ مِنْ ضِيَائِكَ
 بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَجِيعٌ مِنْ عَطَائِكَ
 مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
 إِلَّا وَوَجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى غَنَائِكَ
 فَانْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْذُ بِكَ عَائِدًا إِلَيْكَ مِنْ بَلَائِكَ
 قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أَمْتِحَانِكَ وَائْتِلَائِكَ
 وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَا أَمْكَانٍ صَدَأَ عَنْ فَنَائِكَ
 وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرَ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
 فَإِذَا أُرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتْهُ الْفُيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
 فَالْطَّفُ بِهِ فِيمَا حَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
 وَأَسْلَكَ بِهِ سَنَنَ الْهُدَا يَهُ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
 ١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً
 فَلَيْطِئِكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
 فَادْعُ الْإِلَآهَ وَاحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 فَهُوَ الْأَطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعْمَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَلَابِهِمْ لَهْجًا تَضَعُضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِي :

تُبْقَى اللَّهُ وَالْزَمْ هَدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَالْزَمِ الْقَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنْ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَفَةَ
وَدَعِ عَنْكَ قَوْمًا يَعْبُونَهَا قَفَلَسَفَةَ الْمَرْءِ قُلُ السَّبَةَ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ أَهْمَدَانِي أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى وَيَنْزِلُ الرِّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلِقَائِهِمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا جِئْتِي بِأَيِّ وَجْهِ أَتَلَّاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَا سِيَّامًا عَنْ تَرْجَاهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانتطاع الى الله

١٥ (مِنْ أَتَمَّحِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَلَمَّا تَقَوَّنَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَهَبَسَهُمُ الْاِقْتِسَادُ وَمَشِيهِمْ

التَّوَّابُ ضَعُفُ غَضُوهُمُ أَبْصَارُهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَنِّي نَزَلْتُ فِي الرِّخَاءِ .
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 مَخْرُفَةً عَيْنِ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا
 مُسْتَعْمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا رُكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ يَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَخِزْمًا فِي لَيْنٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَعْمٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهُوَ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهُوَ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا مَكَرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحَبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

رَأَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَتَرُورًا
 أَكْنَهُ . سَهْلًا أَمَرَهُ . حَرِيذًا دِينَهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ . مَكْظُومًا غَيْظَهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
 قَطَعَهُ . بَعِيدًا أَفْخَشَهُ . لَيْتًا قَوْلَهُ . غَائِبًا مُنْكَرَهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُثْبِلًا
 خَيْرَهُ . مُدْبِرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورٌ . لَا يَحْجِيفُ عَلَى مَنْ يُغْنِصُ . وَلَا يَأْتُمُّ فَمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُتَابِرُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْنُصْ صَمَتُهُ . وَإِنْ
 صَحَّكَ لَمْ يَبْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَبَّ نَفْسَهُ لِأَخِرَتِهِ
 وَأَرَاحَ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَرَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعَدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرقي في الزهد

أَجَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَقَصَّتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حِمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَالآنَ حَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَرَوْدَتْ غَيْرُ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أُبَارِزُ اللَّهَ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي الْغَيِّ مِنْ يَوْمٍ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْعَجِ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٍ
لَا أَنْتَهَيْ عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومٍ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْصَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي بِحُومٍ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومٌ
يَا جَامِعَ أَمَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَالَكَ الْغَرِيمُ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
يَا وَاسِعَ الْأُطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي قُضِلَ أَنَا الْمُسْتَفِقُ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوَاءٍ قُحِلَ مَا تَعَقَّدُ الْخُصُومُ
وَسَلِّحَ الْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمٌ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْعَمَلِ . وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا يَقُولُ الرَّاعِيِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنْعَ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمَذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيُهِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنٌ
 لَاهِيًا . يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا أُتْبِلَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ أَسْتَفْنَى بَطَرٌ وَقَتِنٌ . وَإِنْ أَقْتَرَ قَنِطٌ وَوَهِنٌ .
 يَقْصِرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُتَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمَعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مَخْنَةُ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُتَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطُّ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُتَافَسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِيلُ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَخْتَفِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَالِيَا لِنَفْسِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّهَجُّجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِبَصِيرٍ وَعِبْرَةً لِنَاطِرٍ مُفَكِّرٍ

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حَاجًّا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةً طَائِلَةً وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذَخَ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُولِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَخِدَّةً بِوَرْدٍ
ثَمِيرٍ . فَقَعَلَ . فَأَتَانِي لَتَأْتِمُّ إِذَا يَقَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَعُمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَعِ مِنْ الْخِدَّةِ
فَأَتَانِي آتٌ فِي مَتَابِعِي فِي صُورَةِ قِطِيعَةٍ فَهَزَنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ عَشِيَّتِكَ
وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَقَدَتِكَ ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنْكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْثًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجَنْدَلِ
فَأَمَّهْدُ لِنَفْسِكَ ضَالِحًا تَسْعُدُهُ فَلْتَسُدَّ مِنْ غَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
فَأَنْتَبَهْتَ رُغُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستطرف المستطرف للابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاغِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتُ لَا أَسْمَعُ الدَّكْرَى فَهَيْمُ نَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ بَيْنِي وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَعْلَى وَلَا التَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَيْرَحَانٍ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكُتْنَانِي أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ اخْتِومُ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيَصْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَحْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالْدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصِحَّتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَتَفَقَّ الْغُرَى فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فُوَادُ بَأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابٌ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابٌ
تَمَاءَتْ دِيَارُ قَدْ أَلِفْتُ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابٌ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْجُرُ وَهَضَابٌ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَقَرِّي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُدَّ شَبَابٌ
إِذَا صَرَّ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خَضَابٌ

ذو النون والزائدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَالِمَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَتْهَا مُتَّصِلَةً الْأَخْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ
الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
قَامَتْ نَجَّتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ فِي الْخُلُوتِ .
وَلَعِظَمَتِكَ سَجَّتِ النَّيَّانُ فِي الْبُحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَجَلَّالِ قُدْسِكَ
تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاهِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ الْأَيْلِ
وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدَّوَّارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَّارُ . وَالْقَمَرُ التَّوَّارُ وَالنَّجْمُ
الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ الْعَلِيُّ الْهَمَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :
يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ السُّزَّالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْهُوَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالُ
فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ
رَفَعَتْ طَرَفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَجِبْكَ حُبِّينِ حُبُّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشَفْتُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَاذَاهِي قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للباقعي)
ذلة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
وَأَجَلٌ مُطْلُوعٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ قَتَانٌ . وَأَمَانِي جَرَارَةُ الْعَيْنَانِ . تَدْعُوكَ

فَسْتَجِيبُ. وَتَرْجُهَا فَتَحِيبُ. نَاقِضَةٌ لِلْعَزِيمَةِ مُرْتَجِمَةٌ لِّلْمَطِيَّةِ. كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَذَرِي. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصَّقَلِيُّ :

وَلَا يَفْرُكُ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنِّيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَطْرَةٌ تُعْبِرُ
فَلَا تَعْمُرُنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْحَرَابَ لَمَّا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخُرُنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخُرُ
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَّرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ
الْحَزِيرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا صَتَمَهُمُ الْمُحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يَذْخُرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّهْجِ .) وَأَتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَأَتَّبِعُوا مَا يَتَّبِعُ لَكُمْ يَمْزُلْ عَنْكُمْ . وَتَرَاحُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ بِمَعْرِفَتِهِمْ فَأَتَتْهُمْ وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبِيدًا
 وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدىً . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةً تَقْصُرُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ لَجِدَّةٌ بِقَصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَايَةً يَحْدُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَتَدُمُّ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوُا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَنُونَ بِهِ نُفُوسَكُمْ غَدًا . فَأَتَى عَبْدٌ
 مِنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْدَعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا . وَيُنبِئُهُ التَّوْبَةَ
 لِيَسُوقَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَّأَ اللَّهُ سُجَّانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا
 كَابَةً

(لباء الدين)

قَالَ أَبُو أَمْتَاهِيَّةَ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ . إِنِّي مُودِعٌ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّرْقُقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَا فَأَلْقِيَامُهُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَى رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرَهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُثْقِلْ رِعَايَتَهَا
إِنِّي لَهِيَ مَنَزِلٌ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْفَلِ أَمُوتْ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَبَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْأَكْثَرُ قَانِيَةٌ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكَاسِرَةِ لِأَلِ الْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرَتِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ
تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا التَّعِيمُ وَكُلُّ مَا إِلَهَى بِهِ
وَمِنْ رَفِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَضْرَعُ
مَتَى تَقْضِي حَاجَاتٍ مِنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشَتْ مَعْقُولُ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعْتَ مَسْئُولُ
عَلَيَّ يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَنَقُولُ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْأُولُ
وَكَلْنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَسْغُولُ
وَأَلْحِي مَا عَاشَ مَغْشَى وَمَوْصُولُ
وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ

تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
مَا الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
 تَقَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ الْآسِيَالِي
 فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِهِينَ لِي أَعْتِبَارُ
 كَأَنِّي بِالْمَنِيَةِ أَرْغَبْتَنِي
 وَخَافِي نِسْوَةٍ يَكِينُ بَعْدِي
 وَحَقَّ كُلُّ ذَا يَفْتَنِي سَرِيحًا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْلَاقِهِ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيْهَا
 إِذْ هَوَى فِي هَوَا مِنْهَا فَغَارَ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 تَجِيءُ وَتَخْضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذَبَتْ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 إِلَّا كَهَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالتَّقَى
وَيَعْقِبُهَا الْأَخْزَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَرَحْمَةُ رَبِّ الدَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ
٢٨ قَالَ الْبُسْتِي :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الشَّيْبُ بِفَوْزِهِ وَأَلْقَيْتُهُ عَنْ غَيْبِهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَذْلُكَ أَنْ أَضَلَّتْ رُشْدَكَ خَاطِئًا وَلَيْلُ الشَّبَابِ الْوَحْفِ دَاجٍ فَمُعْذِرُ
فَهْلُكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرُ إِذَا زَعْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْكَ مُقِيرُ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِمَرِي :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبُلْبَانِ أَلَسْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيوَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَسَاكِرُ وَالْبِنَا وَقُصُورُ كِسْرَانَا أُنُوشِرَوَانِ
كُتِبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا بِيَدِ الْيَلِي وَأَتَامِلُ الْجِدْتَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَار :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَذَادَتْهَا فَأَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمُتَحَقَّرُ
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْمَذْكِيُّ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ
فَنُودِتْ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى شَخْصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرُ
تَغَانَوْا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرُ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا أَمَا لَكَ فِيهَا تَرَى مُعْتَبَرُ

رُوحٌ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَنَعَى مُحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرَبْرِ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تَعْدُ لَنَا
سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِينَا وَنَطْوِيهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَ بَعْدَ عِزَّتِهِ
ذُلًّا وَصَاحِكَةً يَوْمًا سَنُبْكِيهَا
وَالْحُتُوفِ تَرَبَّى كُلُّ مُرْضَعَةٍ
وَالْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ نَعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ
حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
أَمْوَالُنَا لِدَوَى الْمِيرَاثِ نَجْمُهَا
وَدُورُنَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ نَبِيهَا
٣١ وَلَا بِي الْعَتَاهِيَّةُ:

خَانَكِ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَبُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ مَدْنُو
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ قُوَّةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ قُوَّتَيْهِ فُضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَجِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَإِذَا مَوْتُ يَبْدُو وَيَرُوحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ اللَّهِ يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٌ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ يَوْمَ نَطُوحُ
 نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسَّةَ كَيْفَ إِنْ كُنْتَ تَسُوحُ
 تَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّ رَتَ مَا عَمَّرَ نُوحُ
 ٣٢ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 صَنَاعَ عُمْرِي فِي اغْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَبِيرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلُصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آتَى بَانَ أَصْحُو قَالِي طَالَ سَكْرِي
 أَتْرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي
 ٣٣ قَالَ آخِرُ :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْأَنِي وَلَوْ نَحَالِكَ حَالِكَ
 لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ قَمًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لَبَسَ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكٍ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَّهِيةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا
كَأَنَّ الْأَبَاكِيَتِ عَلَيَّ يَوْمًا
ذَكَرَنْ مَنِيَّتِي فَتَعَيَّنَ نَفْسِي

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَالِكِ
مَرْتُ يَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمُنَايَا لَا فَكَاكَ لَهُ
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكُفْنَ
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
أَيُّ الْأَجَبَةِ وَالْخَيْرَانُ مَا فَعَلُوا
فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنًا
تَبْكِي الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُشْجِمٍ

حَسْبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ أَلَّا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٢١ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنَجِيِّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّابَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِأَسْمِ سِوَالِكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَائِعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَقْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ س تَقْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا يُبِي الْعَتَاهِيَةَ :

لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ فَدَهَجْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهَنَ قَبْرِ بِالَّذِي عَمِلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا دَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَدْخَرُوا
 أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَلَهُ الْبَدُّ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

بِعَمْدِ نَفْسِكَ وَأَذْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقَ خُوفِ الرَّدَى وَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُقْتَحَصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْظَ لَوْ يَفْقَهُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سِوَايَ سَعِيهَا
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ عَمَّا
يَهْرُبُ الْمَرءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَابِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مَنْ يَزُلْ عَنْ حَدِّهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَلَاخِظُنِي الْمُنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ
وَتَشْرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيٌّ
وَتَلْخِظُنِي مُلَاحَظَةُ الرَّقِيبِ
بِمَخَطِ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيئِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تُلُوحٌ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
 أَزَالَ اللَّهُ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَعَوَّضْتُ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
 وَبَدَّلْتُ التَّكَاسُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَمْلُوهَا أَصْفَرَارُ إِذَا جَنَّتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
 قَالَ الْإِلَهِي:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكْرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرَقَى إِلَى اللَّهِوَاتِ
 وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَأَسْقَلْتُ رِكَابِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
 إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
 وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهِ فِي التُّرْبِ مُنْعِفَاتِ
 وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوابه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَعَصِّدُ لَمَّا حَضَرَ تَهُ الْوَفَاةَ قَصِيدَةً مِنْهَا:

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرُ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِيَالٌ وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
 قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدْعُ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْمِلْ عَلَى طَعْنِهِ خَلْقًا
 وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدْتَهُمْ غَرْبًا وَمَزَقْتَهُمْ شَرْقًا
 فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقًّا
 رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جُرْحِي فَهَذَا أَنَا ذَا فِي خُفْرَتِي عَاجِلًا أَلْقَى
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ:

يَا مَنْ يُؤْمِلُ أَنْ يَعْيشَ مُسْلِمًا جَذْلَان لَا يَدْهَى بِحَطْبٍ يُخْزَنُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْصِدْ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفِئُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُكِنٍّ وَمِنَ الْحَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَعَلَامَ تَرْجُو أَنَّهُ لَا يُذَمُّ

قصيدة لاسماعيل المتري في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَشْطَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغِيدِ وَعَيْشَةٍ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَهِيمَةِ
فِيَادِرَةٍ بَيْنَ الزَّائِلِ أُلْقِيَتْ وَجَوْهَرَةٍ بَيْعَتْ بِالْخَسْرِ قِيمَةٍ
أَفَانِ بَقَايَ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَخُطَا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةٌ وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَفَلْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورُهَا تُقَابِلُنَا فِي نُضْحِهَا بِالْخُدَيْعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِّي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يُمِثِّلُهَا يَصِيرُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ تَعْبُدُ مُثْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ تَأْجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرَفُهُ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
قَوْلِكَ تَدْرِي مَنْ تَأْجَاهِهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَحْنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلَمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعُقُومَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَهْلُ نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَكْفَلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةٍ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كَفَيْتَهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَطِيفَةٍ
نُصِي بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسْبِ مَا يَفْضِي الْهَوَى بِالْهَضِيَّةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَذَرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ أَتْبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
وَأَجَلْتَنِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْخًى لَكَ الْعُنَانُ
لَوْ خَوْفَتُكَ الْحَجِيمُ بَطْشِي لَشَوَقْتُ قَلْبَكَ الْجَنَانُ
أَنْتَ سُبْحَانُ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصَّلَاحُ وَهُوَ يَرِي وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسَّنَانُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ رَأَاهَا فِي النَّارِ مَسْجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عُيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعُصَاةِ شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعُطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَإَ بَرَهُ النَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِهِ مَكَانُ
عَفُوا فَإِنِّي رَهِينُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَنْقَلِقَ الرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُذْرِيُّ:
يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْرُورٌ فَأَذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا قَمَا تَذْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَأَسْتَقْدِرُ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضِينَ بِهِ فَيَنَامَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُتَبَطِّطٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
قَالَ آخَرُ:

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ خَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُعْجَتِي وَبِهَائِي
يُبْلِي الْعَذَابُ مَحَاسِنِي وَيَشِينَهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سُوءِ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعَدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
وَرَى وَجْهَ الطَّائِفِينَ كَأَنَّهُمَا بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَذْهَبُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءُ
٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتَمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ نَعِيتُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَطَعُوا إِرْحَمْ عِبَادَا الْكَفِّ الْفَقْرَ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ فَخَوْهُ أَنْبَسَطُوا
وَعَدْتَ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَلِطَامِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفَ أَرْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَغْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِحَقِّيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِيَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَ الْكَفِّ أَخْجَلُهُ
يَا وَاسِعَ صَاقِ خَطْوِ الْخَلْقِ عَنْ نَعَمٍ
وَنَاشِرًا يَبْدِ الْأَجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمِ عِبَادًا بِضْنِكَ الْغَيْشِ مَا لَهُمْ
لِكَيْفِهِمْ مِنْ ذُرَى عَلِيَّكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَالْعَنِ الْهَوَى
وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَيْنَ مَوْدِعٍ
وَالْحَادِثَاتِ مُوَكَّلَاتٍ بِالْقَتْلِ
قَالَ يَشْرَبُنُ الْمُتَعَمِّرُ :

تَعَافُ الْقَدْزَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَتُؤَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينِ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَتَرَقُدُ يَا مِسْكِينُ فَوْقَ غَمَارِقِ وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلْهَبُ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ يَذَلِكْ تَلْعَبُ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْوُ بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدَّيَّانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهوَ يَرَاكَ جَهْرًا وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاءِهِ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودٌ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ أَلْسِي لِشُومِ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزَنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجِدِي بَكَاهُ
يَعِضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تُوِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَنَزَّلُونَ بِشَعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُرْطَ فِي التَّرْوِدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمُرِقُّ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا يَبْتَنَى فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُحْدَمُ وَاحِدٌ وَالْحَادِمُ
وَمِمَّا وَجَدَ عَلَى قَبْرِ:

إِنَّ الْحَيِّبَ مِنَ الْأَحْبَابِ يُخْتَلَسُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسُ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا يَا مَنْ يَعِدُّ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَعْلَمُ يُقْبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ قَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

قَالَ ابْنُ الزَّفَاقِ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَالْمَوْتُ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقَتْكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرُ طَيْهٌ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لَاحِقِي
بِعَيْشِكُمْ أَوْ بِاضْطِجَاعِي فِي الثَّرَى أَلَمْ تَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاقِي
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمُضِ بِي مُرْتَجِمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَقَاءُ الْأَصَادِقِ
٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلَاتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكُنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا يَا بَنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَتَى صَائِرُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَلْكُ نَجْزِيًا بِذُنُوبِي فَإِنِّي إِشْرَ عِقَابِ الْمَذْنُونِ جَدِيدُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثُمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ فَتَمَّ نَعِيمُ زَائِدٌ وَمُرُورُ

خَفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمِنْ حَقِّ مَيِّتِ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَافِيَةً لَتَقْرِيطُهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغِيهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقُ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيٍّ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ الْحَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّارُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا صَمْنِي وَلَحْدًا عَمِيقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عَيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظُمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْقَتَنِيبِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مَنْ أَوْثَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَعَدَا إِسْوَهُ فِعَالُهُ مُتَخَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَا صَفَا
مَا ذَا صَوَى قَبْرُ الْأَتَمِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْتَحًا لَعَنُوا أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَهَبْرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فِرْعَ ذِي يَمَنٍ مَلَكَتْ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَجْلَهُمْ فِيهِ عَلَى أَلْسُنٍ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
بِالْحُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهُمْ ذَوْقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
فَأَوْقِعُوا بِهِمْ وَاللَّهْرُ ذُو دُولٍ حَتَّى كَانَ مَعَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
وَنَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمِلُهُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى يَاقَوْمُ يَا ثَمَنُ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالُ امْرَأَةٍ قَطَرَ الْبِلَادِ قَامَ أَعْجَزَ وَلَمْ أَهْنِ
قَدِصَرْتُ مَرْتَنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ لِلَّهِ دَرِي مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَنِ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَاتِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا . وَقَدْ تَكَّ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةُ النَّتْدِ بَعِثِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالنَّضَارَةِ وَرَوْتِ الْحَيَاةِ وَالْتَسَمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَالِدًا وَرَفَاتًا سَحِيحًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْقَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ يُنْتَعِنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكًا . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مَنْ اسْتَوْدَعْتُهُ الرِّدْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ أَرْحَمِ غُرْبَتَهُ وَأَنْسَ وَحْشَتَهُ وَأَسْتُرْ سَوْأَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ لَهَ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعُكَ
فِي أَحْسَانِي جَنِينًا، وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
مَضَاجِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَّ أَنْسَهِنَّ وَأَشَدَّ
وَحْشَتِهِنَّ. وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمْ تَزَلْ
تَقُولُ هَذَا وَنَحْوَهُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَدَّثَ اللَّهُ وَصَلَتْ
رَكَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

هـ. لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ أُمُّهُ عَلَى قَبْرِهِ
فَقَالَتْ: لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ نُجْنٍ فِي جَنِّ، وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ. نَسْأَلُ الَّذِي
فَجَعَلَنَا بِمَوْتِكَ، وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ، أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ
الرُّشْدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ. وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ.
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَافِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
الْحَيِّ مُسَوِّدًا. وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ.
وَلَرَأَيْكَ مُتَّبِعِينَ. وَأَنْتَ أَهْلُ لِحْسَنِ الشَّاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ. أَمَّا وَالَّذِي
كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنْ الْمُقْدَارِ إِلَى
غَايَةٍ. وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ. لَهَذَا
عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا، وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا. ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا أَبَا بَحْرٍ مَاذَا تَعَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
لِلَّهِ دَرْكٌ أَيَّ حَشْوٍ رَأَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثَانِي بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدِ اسْدِيَّتِهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرُدُّ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)

٥١ قَالَ أَبُو جِبَالِ الْبَرَاءِ بْنِ رَبِيعٍ الْفُقَيْسِيُّ يَزِي أَخُوتهُ :
أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَخْزَعُ
ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ هُم كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّمَاءِ رُزِئْتُهُمْ وَمَا الْكُفُّ إِلَّا إَصْبَعُ ثُمَّ إَصْبَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ تَلِي دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمَقْبَحِ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَسَدَانُهُ لَمُتَعُ
٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا قَوَاضِلُ كَهْوِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَائِصُ
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَعُضْ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا نَجْنُ الْجَوَائِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَاوِزُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَانَ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَائِحُ
لَئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاتِي وَذَكَرْهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَائِحُ
٥٣ وَقَالَ مُوَلِّكُ الْمَرْمُومِ يَزِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَمْرٌ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنِّي حَلَلْتُ وَكُنْتُ جِدَّ فَرْوَقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَرَكْتُ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً
 فَقَدَتِ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكَ حُلُوةً
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٤٤ وَقَالَ أَعْرَابِي يَرَى بَيْتَهُ :

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفَدَا
 فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَامَتِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرًا
 فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتُ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفِ قَبْلَ وَقَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا :

مَاتَ مَنْ كُنَّا زَاهِ أَبَدًا
 سَالِمَ الْعَقْلِ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ
 حُسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرَى وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَصِيدًا
 وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدًا

بَابِي وَأُمِّي هَالِكَا أَفْرَدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدَا
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بَيْضًا بِهِ وَغَدَتْ لَهُ بَيْضُ الضَّمَامِ سُودَا
لَمْ تُرْزَهُ لَمَّا رُزِينَا وَحَدَهُ وَإِنْ أَسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدَا
لَكِنْ رُزِينَا الْقَالِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَا
وَأَبْنُ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَائِقِ مَعْمَرَا وَأَبْنُ الْمُسَيْبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدَا
وَالْأَخْفَشِينَ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَالْأَعَشِينَ رَوَايَةً وَلَنْشِيدَا
كَانَ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدَتْ وَصِيَّةً وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبَتْ مُفِيدَا
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَزِمَّةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مَوْدُودَا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزِيَّةِ وَالِدَا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودَا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقَ فِي الْعُلَى وَالْعَالَمِ ضَمِنَ شِلْوُهُ مَلْخُودَا
يَا مَنْ يَنْدُ مِنْ الْبُكَاءِ مَوْلَهَا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْنِيدَا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدَا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ خُزْنِي بَعْدَهُ لَيْبِيدَا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَاثِرَا أَعَيْتَ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودَا
وَرَأَيْتُ فَبِتَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَاثِلَا وَهِنَ السَّمَاكِ دَلَايِلَا وَشُهُودَا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَّدَتْ تَغْرِيدَا
لَوْلَا الْحَيَا أَنِّي أَزُنُّ بِبِدْعَةٍ بِمَا يُعَدُّهُ الْوَرَى تَعْدِيدَا
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاحَةِ مَاثِمًا وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلَادِ عِيدَا
٥٦ قَالَ السَّمَرْدَلُ يَرْنِي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَاحُوا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتَى
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَهَذَا أَفْنَى إِلْبَكة عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَعْطَ ضِيئًا
فَقُلْنَا عَنْهُ قَاتِلُهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتَ سِنَانٌ رُمِي مِنْ قَنَايِ
وَكُنْتَ بَنَانٌ كَفَّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَهَذَا أَبَدُوا ضِعَائِهِمْ وَشَدُّوا
فِيكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غَنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقٍ مَرَّانِي لَيْدِي :

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
قَدَارَقْنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِالدَّهْرِ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمَ حَلَوْهَا وَعَدُّوا بِلَاقِعُ
كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَائِعُ
يَجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَلْبَسَ إِلَّا مُصْتَرَاتٍ مِّنَ التُّنَى
 أَلَيْسَ وَرَأَيْتُ إِن تَرَأَيْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرَ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنُهُ
 فَلَا تَبْعُدَنَّ إِنَّ الْمُنَى مَوْعِدُ
 عَاذِلُ مَا يُدِيرُكَ إِلَّا تَطْنِيَا
 أَنْجَزُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْقَتَى
 لَعْمَرِكَ مَا تَذِيرِي الضَّوَارِبَ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تَوَقَّى مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرْثِيهِ :

أَبَانَ يَدِي عَضْبُ الدُّبَابِينَ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ أَلْفَيْتُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالْثَّارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتُ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَى النَّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْخَابِ
 بَأَيِّ يَدٍ أَسْطَوَ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَدِيثُ جَلِّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا
 لَعْمَرِي لَقَدْ قَالَ التَّجَلُّدُ أَنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةَ
 وَلَا لِي مِنَ الْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرُ
 فَقَدْ تَوَقَّى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةُ
 لَعْمَرِي لَئِنْ كَانَ أَلْزَمْتُ بِكَ فَاتِنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكْتَنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنَ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْفَيْثِ بَرَقَتْ
 مِرَّتُهُ أَصْبَاً وَاسْتَجَابَتْهُ الْجَنَابُ
 رِيحًا زَهَتْ مِنْهُ الرُّبَى وَالْمَذَانِبُ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَدِي
 مَالِكُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ وَخَرَجَ عَلَى
 الشَّرَاقَةِ لِمَا تَلَهُمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمٍ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِالْذُّمِّوعِ السَّجَامِ
 عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصِنْدِيدِهَا
 لَا تَذْخِرِي الذَّمَّعَ عَلَى هَالِكٍ
 طَلَبَ ثَرَى حُلُوانٍ إِذْ ضُمِنَتْ
 أَغْلَقَتْ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجَى
 إِرْحَلْ يَا نَقْرَبُ إِلَى مَالِكٍ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشَمْسِ الصُّحَى
 وَسَائِلُ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلِّمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْذُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ
 عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِي أَلْهَامِ
 وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 أَيَّتُمْ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْقَرَى تَشْكُو مِنْكَ طُولَ الْحِمَامِ
 كَيْمَا نَحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنِ الْبَحْرِ وَصَوْبِ الْغَنَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
 وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَغْبُ الْمَرَامِ
 يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ أَرْتِفَاعِ الْقَتَامِ
 يَفْلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 عَلَى رَيْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 مَا هَيَّجَ أَسْتَجَوْ دُعَاءَ الْحَمَامِ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا بَرِّيهِ :

يَا خُفْرَةَ صَمْتٌ مُحَاسِنٌ مَالِكٌ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُعْرِضِ خَذَهُ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشَّرَاءُ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكِ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرُمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِقَدَرِهِ
لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خِرَاعَةٍ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُضْطَّعُهُ وَصَدْرُ حَسَامِهِ
وَعَدَّتْ تُعْقِرُ خَيْلُهُ وَتَقْسَمَتْ
أَفْتَحُمْدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ
مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
وَجِيئُهُ لِأَيْسَنَةِ الْقُرْسَانِ
وَالْمُرْهَفَاتِ عَلَيْهِ كَأَثِيرَانِ
فَالْأَرْضُ مُوَحِّشَةٌ بِلَا عُمَرَانِ
شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمِ الْبَلِيَانِ
تَقْوَى عَلَى اللَّزَبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
عَصِيَّةٌ فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانِ
أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِ وَبَنَانِ
وَتَسَمَّيْتُ بِالْخَمْسِ وَالْأَثَرَانِ
مُسْتَشْهِدًا فِي مَالَةِ الرَّحْمَانِ
مُحَبَّةٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَالْأَسْلَمُونَ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ
أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
كَانَ الْفُحَيْرَ لَنَا مِنَ الْحِدَانِ

٦١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ بَرِّي وَالِدَهُ :

قِفْ بِالطُّلُولِ وَسَاهَا أَيْنَ سَاهَاهَا
وَرَدِّدِ الطَّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا
وَرَوْحِ الرُّوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَأِنْ يَفْتَنَكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مُخْبِرُهَا
وَرَوْحِ مِنْ جَرَعِ الْأَجْفَانِ رِيَّاهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاها وَرِيَّاهَا

رُبُّوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّبَرَّ تَرْبَتَهَا وَدَارُ أَنَسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَضَبَاهَا
 عَدَا عَلَى جِرَّةٍ حَلَّوْا بِسَاحَتِهَا صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 بُدُورُ تِمِّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّهَا شُمُوسُ فَضْلٍ سَحَابُ التُّرْبِ غَشَاهَا
 فَالْمُجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسِفًا وَالْدِّينُ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 يَا حَبِذَا أَرْزَمُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمرًا وَأَحْلَاهَا
 أَوْقَاتُ أَنَسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوْطِنُوا هَجْرًا وَاهَا لِقَلْبِ الْمَعْنَى بَعْدَكُمْ وَاهَا
 رَعِيَا لِلَّيَالِي وَصَلِي بِالْحِمَى سَلَفَتْ سَقِيَا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ سَقِيَاهَا
 لِفَقْدِكُمْ شُقَّ حَيْبُ الْمُجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَخَرَّ مِنْ شَاخِجَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعَهَا وَأَنْهَدَ مِنْ بَاقِيَاتِ الْجِلْمِ أَرْسَاهَا
 يَا ثَاوِيَا بِالْمُصَلَّى مِنْ قَرَى هَجْرٍ كَسَيْتَ مِنْ حُلُلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 أَقَمْتَ يَا تَجَرُّ بِالْبَحْرَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ ثَلَاثُهُ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 ثَلَاثُهُ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْزَرُهَا جُودًا وَأَعَذِبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 خَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلَيَاءِ مَا حَوَّيَا لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 يَا أَخْصَا وَطَلَّتْ هَامَ السُّهَى شُرْفَا سَقَاكِ مِنْ دِيَمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 وَيَا ضَرِيحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَزْكَاهَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 وَمِنْ شَوَاخِجِ أَطْوَادِ الْفُسُوءَةِ أَرْ سَاهَا وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
 فَاسْتَحْبَّ عَلَى أَهْلِكَ الْعُلُوِّي ذَيْلُ عَلَا فَهَذَا حَوَيْتَ مِنَ الْعُلَيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحَتْ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاعَهَا

٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِي :

أَلْفَكُرُ فِيكَ مُقَصَّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجُهَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْقَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصِلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَفْتَدَيْتَكَ سَرَانَا بِقَانِسِ الْأَزْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدِسُ بِالْقَنَا السَّالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَالسَّمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّائِذَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَالْيَيْضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا أَلْنِيَّةٌ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْبَهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَلَنَ جَابِرُ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْقَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدُ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِقَضَائِلِهِ وَآرَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الرَّجِيِّ غَيْرُ حُزْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَلَكْتَ فَمَا الْوَفَاءُ بِهَا لَكَ وَأَيْنَ يُلَى نَمَا الْوَدَادُ بِكَالِ
لَا زِلْتُ مَعَهُ رِقَ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بَسَحَابَةٍ تَجْرُورُهُ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيَّاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ ثُرَيْي خَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ :

أَأُمِّمِ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَعَنِي الْجِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا حَيْرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتَرَابٍ
مَاتُوا وَلَوْ أَتَى قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحْدَتْ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحْبَابِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحُ كُلِّ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عَمْرًا :

إِلَّا نَوَّهَ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَانْتَمَا يَحْرِقُ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صَرْعَتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ وَلَمْ نَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مِمَّا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُكَ مِنْكَ كُنْتُ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلَى فِيكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعَا
٦٥ أَلْشَدَّ حُرْزُ بْنُ عُلْقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمَقَارِ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرُ تَكْرُمٍ وَقَلِيلُ عَابٍ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مِرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صُمُوتٌ فِي الْحَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالْأَصْوَابِ
كَرِيمُ الْخُلُقِ لَا طَعِبُ غَيْبٍ وَلَا فُحَّاشَةٌ تَزِقُ السَّبَابِ
كَرِيمُ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفُ إِذَا الضَّيْلُ مَالَ بِهِ التَّصَايِ
نُحُوفٌ بِالْقَهْرِ وَاللَّيْلِ قَرُ إِلَى الْمُسْتَسْتَنِ ذُرَى الرِّكَابِ

٦٦ وَقَالَ الْأَبَرْدُ الْيَرْبُوعِيُّ يَرَى أَخَاهُ بَرِيدًا وَتُرْوَى إِسْلَمَةُ الْجَعْفَرِيِّ :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمَا
 لَكَ أَوَّلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
 أَمَا تَعْلَمِينَ أَخْبَرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا
 أَخِي إِذَا أَتَى مِنْ دُونِ أَثَوَابِهِ الْقَبْرِ
 فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
 إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُعِدُّهُ الْفَقْرُ
 فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
 إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي وَيَشْقَى بِهِ الْجُزُرُ
 وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي
 عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ
 ٦٧ وَقَالَ أَيُّضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَنَّمُهُ تَقَلُّبًا
 كَانَ فِرَاشِي حَالًا مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا
 فَقَدْ بَانَ مِنِّي فِي تَذَكُّرِهِ الْعَذْرُ
 أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا
 بَرِيدَ أَطْوَالِ الدَّهْرِ مَا إِلَّا الْفَقْرُ
 فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَغْنَى يُحْرِقُ فِي الْغَنَى
 فَإِنْ قَلَّ مَا لَا لَا يُودِّبُهُ الْفَقْرُ
 فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيَا
 وَكُنْتُ أَنَا أَلَمْتُ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرِ
 فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
 إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ قَلَّ بِهَا الْقَطْرُ
 كَانَ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدُ نَبْطَةٍ
 وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ السَّفَرُ
 وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بَرِيدًا تَعَوَّتْ
 فِي الْأَرْضِ فَرَطُ الْحُزْنِ وَانْقَطَعَ أَظْهَرُ
 عَسَاكَرُ تَغَشَّى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنِّي
 أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَا مَتَةِ الْحُمْرُ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدِ مُصِيبَتِي
 وَبَيَّ أَخْرَانَا تَضَمَّنَهَا الصَّدْرُ
 ٦٨ قَالَتْ الْحُسَيْنَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَغِيرًا :

قَذَى بَعِيثِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ
 أَمْ أَفْقَرْتَ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 كَانَ عَيْنِي لِذِكْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ
 فَيَضُ لَيْسِلُ عَلَى الْحَدِيدِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَقْدِرْ شَيْئَهُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ يَفْعَلُ الْخَيْرَ مُعْتَمِدُ
وَقَالَتْ أَيْضًا: ٦٩

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينِ حَوْلِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلُ أَخِي وَلَكِنْ

٧٠. قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرَى أَخَاهُ مَا لَكَ:

إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمُرَبَّاعًا
سَرِيحًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعًا
أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعًا
وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَلَسِيمًا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعًا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا

وَعَشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَالِكُ بَعْدَمَا
فَقُلْتُ لَهَا طَوْلُ الْإِسَاءَةِ سَاءَ نِي
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرَى بَعْضَ مَنْ يِعْزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
وَمَا عَوَدْتَنِي مِنْ قَبْلِ ذَاكَ
عَهْدُكَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ غَدْرًا
فَكُلُّ النَّاسِ يَنْدُرُ مَا خَلَاكَ
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلِئِنْ
دَهَكَ مِنَ الْمُنِيَةِ مَا دَهَاكَ
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفَكَ
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لَضَعْفِ حَالِي
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
أَفْتِسُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي صَمِيرِي
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْثُومًا هُنَاكَ
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمَنَايَا
فَمَا أَسْنِي لِحْصَمِكَ كَيْفَ يَبْلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنَا
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ
وَحَقَّ هَوَاؤُكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ أَتَاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا
وَيَا مَنْ قَدْ تَوَى سَفَرًا بَعِيدًا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ
فِيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي
يُذَفُّ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَزِدُّ الْبُكَاءَ وَقَلَ الْبُكَاءُ لِقَتْلِي كُدًّا
أَصِيدُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا انْتَهَيْتُ زَمَانِي يَقُومِي تَوَلَّى الضُّيَا
٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِلْعَلْبَانِي:

أَفَاضَ الْمَدَامِيعَ قَتْلِي كُدًّا وَقَتْلِي بِكُشُوفَةِ لَمْ تَرَمْسِ
وَقَتْلِي بِوَجْهِ وَبِالْأَلْبَتِينَ يَثْرِبُ هُمْ خَيْرُ مَا أَنْفُسِ
وَبِالْزَايِينَ نَفْسُ تَوْتُ وَأُخْرَى بَنِي أَبِي فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَلَسُوا زَيْنَةُ الْمَجْلِسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ أَلْصَقُوا الرَّغَمَ بِالْمَعَطَسِ
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مِنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُعَالُ لَهُ مَعْنٌ قَمَاتَ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّعًا بِضِرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا نَنِي لَكَ وَارِ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَّلُ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدْتُ قَرِيبَهُ لَيْسَتْ بِبَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمَرْءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحَفْرَةِ الْحَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ بَلَّتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةُ الْجَبَّارِ
هَلَا بِنَفْسِي أَوْ بِنِجْصِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْمُخْتَارِ
وَرَكْتَ رَبِّي أَلْتِي مِنْ أَجْلِهَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَنَ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْمُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا
قَرْمَانٍ لَا يَنْظُرَانِ وَلَا يُرَامُ جَاهُمَا
وَيْلِي عَلَى أَبِيٍّ وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُفُو لٍ وَلَا فَنَى كَفَنَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرَى ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَمَا نَامِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلَانِي يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا
زَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتَوَرَّدَهَا بِيضًا وَنُصِيدُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ خُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلسَّمَاءِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَجْرُ مَثْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودِيَّةُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتِ حَتَّى تَصْدَعَا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرِي أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ :
أَلَدَّهْرُ أَخْبَتْ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
فَقَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُخْلًا يَمِثْلُكَ وَالنَّفَاسُ تُقْصِدُ
ذُقْتَ الْكَرِيمَةَ بَغْتَةً وَقَعْدَتَهَا وَكَرِيمَةُ قَدِيدِكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَغْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْغَوَادِي إِلَى خِطَابِكَ مَكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشِيدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ
٧٩ وَرثاه أيضا أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِي الْمُنْتَبِي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبَكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانٍ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٨٠ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطْوِيِّ مِنَ الْمُرْقَصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ
 وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

الْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَخْجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ حَرِيرٌ يَزِيدِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لَدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخُلَيْفَةَ قَدْ وَارَى شِمَالَهُ غَبْرَاءَ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهَا زُورُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْبِتُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةَ لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فِرْعَ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقُسْطَلِ الْخَبِيرُ
 ٨٢ قَالَ الشَّيْرَاوِيُّ يَزِيدِي الْعَلَامَةُ الْعَبَّادِيُّ :

يَا طَالِبَا رَاحَةٍ مِنْ دَهْرِهِ غَشَا أَقْصَرَ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهَمُومِ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَاقٍ أَفْتَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنْ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُولُ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذْنُهُ الْمُتُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتُ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَنَسًا قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوَالِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
لِلْأَجْلِ ذَا طَالَ مِنْهُ النَّوْحُ وَانْحَدَرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلِ قَطَنِ
لَهُ يَدٌ وَرَدَتْ بِحَرْمِ الْهَدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْبُزْجِي بْنُ مُغِيرَةَ الْمُقَرِّي يَرْثِي الْكِسَائِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَا تَأَنَّى الطَّرِيقَ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ حُلُودُ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةِ سَيِّدُ
سَيْفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونُ الَّتِي خَلَتْ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْمَنَاءُ عَتِيدُ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْفَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْحُطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ قَمِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتُ الْكَسَاءِ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاةَ تَمِيدُ
وَأَذْهَلْنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَّقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هِيَ عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحَرَّمَا وَمَا لَهَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَحْطَرُّ عَلَى الْقَلْبِ خُطْرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَزِيدُ الْأَصْمَعِيُّ:

أَسَيْتُ لِقَمِيدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بَشَائِشَاتُ الْحَجَاسِ بَعْدَهُ وَوَدَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتِهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقْلُ النُّجْمِ
٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَزِيدُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقْعِ الْأَسَلِ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يُرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابُ خَبَا وَقَدْهُ وَعَارِضُ غَيْثِ أَفْلِ
شَكَتْ دَوَاتِي قَهْدَهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَزِيدُ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِيَّ:

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلِي الْحُجَى وَالْجَلَالِ
فَلِ الْعُيُونِ بُكَاءُ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالِ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالِ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرَّمَالُ
بِكَيْ الرِّشَادِ عَلَيْهِ دَمًا وَسُرَّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرُولٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
يَقْبِرُهُ الْعِلْمُ نَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مُعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزْيَةٌ
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي التُّرَى
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزْيَتِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُوتَى قَيْسَالُ بَعْدَهُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا
وَلَيْسَ بِمَنْ عَنكَ دَمْعٌ سَفَحْتَهُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَ بَدِينِهِ
غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَاسْتَمِعُوا
فَكَادَ فُؤَادِي حَسِيرَةً يَتَصَدَّعُ
وَلَا خَرَمًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
يَحْيَى إِلَى مَنْ تَسْتَرْجِعُ وَتَفْرَعُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُفْنِعُ
مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقْشَعُوا
وَأُذْرَجُ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
رَعِيَّةٌ رَاعٍ بِهِمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُفْنِعُ
وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُمْتَعُ

٨٨ - قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِي يَرْثِي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَغْنِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفْرَةٌ وَلَا زِلْتُ تُسْقِي الْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدْعُ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ
٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رِثَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِي الْمَوْسَوِي بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَفِي الْبَحْرُ اغْتَدَى مِنْ وَفْعِهِ مُتَّبِعُ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَمْلَأُ عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِي يَرْثِي الْعَلَامَةَ نَجْمِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ نَجْمِي الدِّينِ كَافِي عُيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
كَانَتْ أَسَارِيرُ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرَرٍ تَرَهَّى قَبْدِلَ ذَاكَ الدَّرِّ بِالسَّجِ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتْ النَّاسُ تَمُشِي مِنْهُ فِي سُرْجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْقَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ تَجَمُّعِ الدَّمْعِ فِي لُجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءٌ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شَذَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
يَا وَخْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ أَبْطَالُهُ قَتَوَاتٍ فِي دُجَى الرَّهْجِ
لَمْ يَلْجُؤُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرَثَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِينَا وَيُفْرِونَا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِ مِنْهُ مُبْتَهِجِ

سَقِيَّالَهُ وَكَسَّاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْفَرَّانِ مُنْسَجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيْضًا بَرِّي الْحَجَازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْخَزَرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَقْوَالِ الشَّهَابِ نُخْفَةَ الْقَوْمِ زَهَّةِ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنَ الثَّرَى بِحِجَابِ
 فَهَدَّتْ بَرَّهُ أَيْامِي الْمَعَانِي وَيَتَأَمَّى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْمَعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّو أَلْجَمِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مِحْرَابِ
 يَا شَهَابًا طُلُوعُهُ فِي سَمَاءِ الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَقْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ
 لَكَ فِيمَا أَلْفَتْ تَذَكُّرُهُ مِنْ مَا أَنْتَقَى دُرَّهُ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ
 رَوْضَةٌ أَيْعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى ثَرِيهَا الرِّبَابُ لَتَهْتَزَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرِّبَابِ
 وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَجْبَرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ بَرِّي صَلَاحَ الدِّينِ :

تَمَلُّ الْهَدَى وَالْمَلِكُ عَمَّ شَتَاتُهُ وَاللَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يَرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفَرَجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ ثَارَاتُهُ
 أَغَالِلُ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجِدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكَمَايَتَيْنِ .
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُودَ ذَمِيمَ الْهُودِ سَيِّئِ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجِدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَهْبَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالْجَمْلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْقَرْشَ السَّنِيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِدِ . وَالسُّلْطَنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحُظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَالْمُنْتَجِمُونَ . وَأَيْنَ الْأَمِلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّنْفُضَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَاللَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الصِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تُجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالثَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعِيَّاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَمْقِرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْفَتَى إِذَا رَاحَ فِي قَرْطِ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي فَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَوَّابِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي أَلْفَعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ
٩٤ إِيْجَمَعُ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيَّ وَحُمَةُ بْنُ رَافِعِ الدُّوسِيَّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ خَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ لِحُمَةَ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيْادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتَبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحَلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمَعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضَعْفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْفُخْتَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
 السَّكِينُ . وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخْلَفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالْبَصِيغَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مَظْلَمٌ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَمَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعَ . وَبَاطِنُهُ طَبَعَ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلَ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْعَمِهِ عِزَّةُ الظُّفْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أَذْنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْخِطَارَ . وَاعْتَسَفَ الْعَثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَدَلَ الْمَجْهُودَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَرْبِزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمَنْصِلَ
 قَبْلَ التَّخْرِيزِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعُقَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَتَخَطَّ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَرَّ
 النَّدَمَ عَلَى مَا نَحَنَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَرَّ

الْيَاسَ . وَأَظْهَرَ الْجَمَلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَذْكَرُ . وَنَظَرَ فَأَعْبَرَ . وَوَعِظَ فَأَزْدَجِرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْحُرْقَ مَغْنَمًا . وَاتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأُضِيدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَاسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَّضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي التَّحَفُّظُ . وَإِنْ أَتَادَ الْخَوْفُ شَغْلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّهَ الْجَزَعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْفَاءهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَصَبَتْهُ قَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْخِ كَطَّتْهُ الْبُطْنَةُ . فَكُلُّ تَهْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ .

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أَوْدِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رَحْمَاهُ فِي أَوْتِنِكَ
فَلَا تَطْلُ حَبْلَ التَّوَيِّ إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرُ التَّوْدِيعَ أَخَذًا فَمَا لِي نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فِرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ وَصَائِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةُ الْعَمَلِ الَّتِي حِكْمَتُكَ فِي سَاعَةِ رُفْتٍ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا طَلَعَتْهَا لَتَشْخِذُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً فَإِنَّمَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَنَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَمْسِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عَفَّةً وَأَبْعَ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ إِلَهِي مُسْتَقْبِحٌ وَأَصْبَحْتَ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكَنَتِكَ
وَبَلِّغْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كُلًّا حَقَّهُ وَلَتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حِدَّتِكَ
وَحَيْثُمَا خِيمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَالرِّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تَقَاسَى الْأَذْلَ فِي وَحْدَتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلَتَجْعَلَ الْعَقْلَ حَكَمًا وَخِذْ كَلَّا بَمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْقَاطِئِهِمْ وَأَصْحَبِ الْخَايَرِ غِبْ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَضْحَةٍ وَفَكَّرُهُ وَقِفْ عَلَى عَثَرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ نُمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِيبُ النَّدَى وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكَّنَا تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَطْفَ حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مَهْمَا أُسْطَعْتَ لَا تَأْتِهِ فَإِنَّهُ حَوْزٌ عَلَى مُفْجِئَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَظْهَرْتَهُ بِحَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَاحَقَّ بِالتَّقْدِيمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

بَيْنَ الْغَرِيبِ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُنَّ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَضْمُ يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِيمِ الَّذِي هُوَ يَتِيمُهُ الدَّهْرُ وَسَلَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْأَدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ زَيْلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِجَمَاعٍ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلَامًا وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأُزِلَ بِقَلْبِهِ زُورُ الْمَسْرِ حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فِيكَ اعْتِمَادُهُ . وَطَهَّرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَعْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودِ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبَادَكَ عَنْهُ لِنَفْعَتِهِ . أَوْ
حُسُودِ لَهُ يَغَارُ لِجَمَلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّطُ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَهَّدُ بِدَوَامِ رَفْدَتِهِ . قَدْ يَنْبَغِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَمَلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ .

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلِ . فَأَخَذَ
بِأَمْتَلَةٍ مِنْ جَرَب . وَاسْتَمِعَ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جُهِدِهِمْ وَتَعْيِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خَلَاصَةٌ غَمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاغُوهُ غَالِيَا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرِيحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلَقَّاهُ تَلَقِيًّا
لِعَقْلِكَ وَحَقًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاعَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْزِدْهُ نَبْذِ النُّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُ
وَلَا لِكُلِّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ بِمَا يَمُنُّ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ
النَّفْسِ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوَفِّي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَأَيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرِ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِ وَلَا الْكُفُوِ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ غَمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمُطَامِعِ وَيُشَبِّكُكَ عَلَى مُضْلِحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَايَةِ آجِلَةٍ . وَلَا تَحْفُظْ
النَّاسَ بِالْجَمَلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا صَغَبٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَامٌ بَكَيْتُ
عَلَى سَلَامٍ . وَأَيَّاكَ وَالْيَتَّ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِمِخْزِيَةٍ وَزَكَمْتَ عَارَا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرِ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرُسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنَ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضُّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَقِّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتِكَ . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَايَرَهُ وَتَفَقَّدَ فِي فَلَاتٍ الْأَاسِنِ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَمِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمَ الْجَرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا
آتَاكَ . مِنْ قَرَّعَيْنَا بَعِيثِهِ نَفْعُهُ إِذَا الْأَفْكَارُ تَجَلَّبَّ الْهُمُومَ . وَتَضَاعَفَ
الْهُمُومَ . وَمُلَازِمَةُ الطُّطُوبِ . غُنَوَانُ الْمَصَابِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُّ الْعَدُوُّ وَالْمُجَانِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لَا أَنْتَ تَضُرُّهَا الدَّهْرُ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْآخِرَانِ عَوْنَا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَنَ تُلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعَوِي بِطُولِ غَشْيِكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيقَتُهُ

النُّومُ . وَمِنْ صِغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لُبِّ
 بِصَدْرِ أَلْهَمٍ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرْجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
 (وَيُنْشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوْالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشِدُ) : وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ
 الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 تَحْسُورٌ يَرُضِياعًا . وَمَتَى رَفَعْتَ الزَّمَانَ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَضْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيْدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْتَكِنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدَّ حَوْهَ . فَتَكُونُ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
 فَصَعَبَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَلَنَسِيَهُ فَبَقِيَ تَحْبَلُ الْمَشْيَ كَمَا قِيلَ :
 إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدًا لِقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
 فَأُضِلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلَذَاكَ كَنُوءُهُ أَبَا بَرِّقَالٍ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذْمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْحِرْمَانُ . وَاسْتَحْشَتْ طَلْعَتُهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأَبْرَمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّوَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْدَادَ
 لِأَنْفُسِهِمْ يَقْطَعُ أَسْبَابَهُمْ . وَلَا تُرِلْ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَلَاخُوا الْعِزَّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي الْأَلْبِ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْقَطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ . (ملخص عن المقرئ)

طريقة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمَزَالَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رَعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْزَّمَّ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ اسْتَرْعَاكَ أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ .
وَإِخْطَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذُكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفُكَ عَلَيْهِ
وَمُسَائِلُكَ عَنْهُ . وَمُثِيبُكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرَّغْ لِدَاكَ
فَهْمَكَ وَعَمَلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَاكَ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقَفُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزَمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمُوَاطَّئَةَ عَلَى مَا اقْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 أَمْرَهُ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَلَحْتُ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّهْيُ
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمَوْصِيَّاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْعَمَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَاهْتِمَامِهِ لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالثَّمَّةَ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِسَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِسَادِ . فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآخِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْفَارِ
 فِي الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَاقَبَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحَصِّنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَطِيعُ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَاتَّبِعْهُ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرُدَّ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلُحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيَهُ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ مَا تُحِبُّ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يَنْصُصُكَ لَذَاذَةِ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تُجِدُ مُحَسِّنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 حَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ... وَتَقَرَّدُ بِتَهْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّدُ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَاخُودٌ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْلُكْ
 بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوه . وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرِمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ
 لَكَ مَرْوَةُ ثُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأُجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ غَيْبِ كُلِّ ذِي غَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النَّيْمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فُسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجَلِهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورَ وَالنَّيْمَةَ حَاقِمَتُهَا لِأَنَّ
 النَّيْمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَمِمْ لِمُطِيعِهَا أَمْرٌ . وَأَحْبَبُ أَهْلِ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعْيُنُ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ . وَوَأَسِ الضُّعَفَاءُ وَصِلِ
 الرِّجَمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَالتَّيَسُّنَ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهُمْ
 رَأْيَكَ . وَأَمَّا نَفْسُكَ عَنْ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارِ وَالْجَلَمِ . وَإِيَّاكَ
 وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرُّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخْلَاصِ لِلَّهِ وَحَدِّهِ النَّيَّةِ فِيهِ وَالْيَقِينِ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تُجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَجُلُوعَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَمَلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْسُوطِ لِحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ . وَاسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهَ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ
 الَّتِي تَذْخِرُ وَتَكْثُرُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ
 بِلَادِهِمْ وَالتَّقْدِيرَ لِمُؤَرِّهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُؤَرِّهِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمُوْثَنَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
 وَرَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَةُ وَتَرَانَتْ بِهَا الْوَلَاةُ وَطَلَبَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالْمُنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
 يُضِلُّ أُمُورَهُمْ . فَقَرِّ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبِ الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
 بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَايِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَ لَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا
 يَكُلُّ مَا أَرَدَتْ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
 وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْأَمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُورِثُ التَّقْرِيطَ وَالتَّقْرِيطُ يُورِثُ الْبُورَ . وَلَا تُخْفِرَنَّ ذُنُوبًا
وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَافِلًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَدْحًا وَلَا تَمُشِيَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغِيضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُمِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سُمِّيَ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتِكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُقِضُهُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخَبِيرَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمَ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَضْرِبَكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُتَّ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأَخْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتْ عَلَى الصَّلَاحِ . وَقَشَتِ الْعِمَارَةَ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَوِيَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مُرْضِيَ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدَلٍ وَاللَّهُ وَقُوهُ وَعُدَّةٌ .
فَنَافِسْ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمْ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 سِيرَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّقَاقِ
 وَالصُّنْعِ فَأَمُضِهِ . وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثِّرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَأَفْرِغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَفْسِكَ وَكَثِّرْ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لِلْعَدَا أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُهْلِكُ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 آخَرْتَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا آخَرْتَ عَمَلَهُ
 أَجْمَعَ هَلِكَ أَمُورُ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمُضِيَتْ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَرْحَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَعِينُ
 صَفَاءَ طَوْبَتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلْ مَوَدَّتَهُمْ وَأَصْلَحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا حِلَّتَهُمْ مُسَاءً . وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْحَقُّمَرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ
حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
وَمِنْهُمْ بَرَفِعِ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِيَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ
أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدْ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَأَيَاتَهُمْ وَأَرْأَمَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا
مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْنَدَاءَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُطْفِ عَلَيْهِمْ
وَالصِّلَةِ لَهُمْ . لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ
وَأَجْرٍ لِلْأَضْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا . وَاسْكُرْ مَجَالِسَةَ الْعُلَمَاءِ
وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَخَالَطَتَهُمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيثَارَ
مَسَاكِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ طَلِيقُكَ
مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَنْتَفِعْهُ هَيْئَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ
وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْ تَصْعُقَ أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرُونَ
لَكَ . وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُوكَ وَكُنَّا بَكَ فَوْقَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتْبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ
حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ قَرِّعْ لِمَا يُوْرِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ
ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا
كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى
الْتِّبَتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرِفِ
تَوْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَقَهَّمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَكَثِّرْ . لِنَظَرٍ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ . وَلِيَكُنَّ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمْكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْمِلَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحَسِّنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَلَامَكَ . وَالسَّلَامُ

(لا بن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَاكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةً
كَانَا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنَكَ أَسْبَلَا
وَتَمَنَّى لَوْ صَادَقَا بِكَ رَاحَةً
فَلَسَيْتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا
فَلَتَلَحَّظَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعَالًا صَالِحًا
فَأَحْفَظْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا
٩٩ مِنْ شِعْرِ الْمُتُغَيَّبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحٌ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحِشَةٌ قَبِيلًا بَدَأَ إِذَا خِفتَ النَّدَمَ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمٌ فَاصْبِرْ لَهَا يَنْجِزُ الْوَعْدَ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
 أَكْرَمُ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْقَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتَ شَتَمَ
 ١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعِظُ أَبْنَاهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّهَا الَّذِي أَلَبَّ الْحَكِيمُ
 دُمُ الْخَلِيلِ بَوْدِهِ مَا خَيْرٌ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ رَأْلَقُ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمْ أَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَأَعْلَمْ بَنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقَهَا مِمَّا يَهِيحُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
 وَابْنِي يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالرَّءْيُ يُكْرَمُ لِلْفَنَى وَيُهَانَ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ الْتَقَى وَيُكْثَرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
 يَمْلَأُ لَذَاكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيُّمَا الْمُضِي

وَالْمَرْءُ يَجْعَلُ فِي الْحَقِّ قَوْلَهُ كَلَامَهُ مَا يُسِيمُ
مَا يُجْعَلُ مَنْ هُوَ لِلْمَوْتِ وَرَيْبُهَا غَرَضُ رَجِيمٍ
وَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمُ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون النحوي

١٠١

زَاحِمُ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزُ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الْدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ رَى هَازِيًا عِنْدَ اعْتِبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَعِزَّةُ الْعَالِمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةُ الْمُتَّقِي فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثُ مُهْلَكَاتٍ لَا مَحَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَسُخٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتَرْ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالْقُبْحِ
وَيَنْشُرُ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا وَيُعْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْنَا وَيُنَظِّطُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَأتَا
يُسِرُّ إِنْ اتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلَا

مَنْ تَنَسَّى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَ عَنْهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّا
إِنْ التَّفَضُّلُ أَنْ تُجَازِيَ مِنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ قَوْسُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طَرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ بِلَا مَوْتَةٍ وَيَنْلِ عِزًّا الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَفْجٍ مِنْ أَخٍ خُلَّةٍ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرَدَّلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَغْفُلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّبِعْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَقَّى الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَجُوبُ مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَيْتَهُ أَبَدًا يَفْعَلُهُ زِدَّتْهُ فِي عَمِّهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنََّّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَنْعِيهِ وَبِرْهَانًا

تَثَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكِّرْ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِي وَتَرْجِعَ لِتَثَبَّتِ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعَلَى عَفْوًا بِلا تَعَبٍ هَيْهَاتَ نَيْلِ الْعَلَى عَفْوًا بِلا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعَلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

الْحُرُّ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقٌ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ عَقْلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَى مَا لَيْسَ يُمَكِّنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْفَعُ بَصَائِحِي وَانْجَلِ بِبَاقِي الْعُمْرِ قَبْلَ قَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْمَا الْبَصِيرَةُ وَالْأُتَى بِمَآئِهِ
وَعَالِيكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَقَمَتِي إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنَ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالَمٌ يَتَدُّ فَصْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِلْفَتَى عَيْشُ رَخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَئِدُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَمُرُ الْعَتَبِ تَمْرِيحًا
إِذَا فَطَمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ فَأَجْعَلْ لَهُ يَأْعَقِدُ الْفَضْلَ تَدْرِجًا
وَلَا تُعِنِّفْ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عِوَجٍ فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِيجًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ مُغْصِبٌ غَاصِبٌ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْسَيْتَ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٍ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعِلَامُ وَالْتَمَوَى هِيَ الْبَاسُ وَالْحَجَى

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِيعُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتَهُ
فَأَحْكُمَ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
كَمْ مِنْ وُجُودٍ إِذَا اسْتَوْصَحَتْ صُورَتُهُ
يَكُنْ قُصَارَاهُ مِنْ إِنْيَاسِهِمْ نَدَمَهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خَصَائِصُهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْقَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهُ

نخبة من الراجيز الشيخ السابري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
ذِي الْمَنِّ وَالطَّوْلِ إِلَهِ الْخَلْقِ
حَبْرَتُهُ يَنْطِقِي تَجْهِيْرًا
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
لَمْ أَلْ فِيهِ النَّصَحَ وَالْتَيْسِيرَا
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَقَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا آتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمَلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مُحَمَّدٍ مَا أَنشَاهُ
وَيُحْكِمُ الْغُفْلَ الْمَغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا فُخْرِيَا
وَالْمَرْءَ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لَصِيَّتُهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِتَضِيعِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأُظِنَ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَائِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَأَتَجَارِبِ
كَفَالِكِ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانِ مَعْرِفَةٍ بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تُحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُجْلِبُ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَأَ
قَرِيبًا أَخْلَقَكَ الطَّرِيدُ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيبُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَعِذِي غَلِيلِ شَرِّ بَمَاءِ
وَأَتَهَرِ الْقُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ قَرِيبًا طَلَبَهَا فَفَرَّتْ
وَالْأَمْرُ أَنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مَنْ عَلِ فَاطِلُهُ قَبْلَ قُوَّتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَعْظُ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رَبِّ رَحًا دَارَتْ بَيْنَ يَلِيهَا تَطَحَّنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبِيهَا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحَسَادَ لَمْ يَعْدَمْ الْخَبَالَ وَالْفَسَادَ
 وَوَحْدَةً الْمَرْءِ بِلَا أَنْيَسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سِتِّي الْجَلِيسِ
 نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَّاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَطِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدْعُ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقًا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْإِثَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلْصَقْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَهِدْتُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسُ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنْ الْبَيَانِ
 فَعَذِّبْهُ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقَطِ يَفْرِطُ فِي مَا فَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قُرْبُ قَوْلٍ يُورِثُ التَّدَامَةَ
 اسْتَبْدَلِ الْحَيْفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطُمُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْأَطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضُرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَقُودُ إِنْ لَمْ يَسْسَهُ الرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ
 لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنْ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الْخَرَدُ

فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلْتُهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٍ بِهِ الْعَثَارُ وَالزَّلَلُ
يَا رَبِّ تَحْفُورٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَهْفَةٍ زَائِغَةٍ سَيْلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَّنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلِقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصدر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمُ مِنْ أَعْدِ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمْ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْتَلًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ تُخْتَلِفُ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَلَاكًا يَسْأَلُ الْبِهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَتَصَبَّمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثٍ
إِذَا آتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوَّلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا تَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمَنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقٍ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أُسْرٌ بِهِ حَالَاتُكَ الذَّمِيمَةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتَرُونُ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْطَحُ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَهَاوِي
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالصِّدْقِ لَمْ يُصَدِّقْ
 مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانًا مِنْ شَأْنِهِ
 وَلَكِنَّهُ الْمُنْطِقُ بِالصُّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
 لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي الثَّجَارِبِ لَا تَسْتَعِينَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ

الكلام

١٠٨

وَأَرْغِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَتَحَكَّ الْأَعْرَازَ وَالْكَرَامَةَ
 أَزِينُ حِلْيَةً عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَتَجْمَعُ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
 فَارْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَتَحَكَّ الْفَضَائِلَ حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا أَجَلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ قَرْضٌ عَلَيْهِ النَّفْسُ فِي الْفَعَالِ
 فَكُلُّ مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنَ الْبَشْرِ فِي الْأَقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا مِنَ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ، اللَّهُمَّ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدرس وقيل لعمري بن أبي طالب

صَرَمْتُ جِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ (*) وَالْدَّهْرُ فِيهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَابُ

(*) اغا أراد الشاعر بزيب هنا الدنيا وبالغانيات في البيت بعده ملذاتنا

وَكَذَلِكَ وَضَلُ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
قَدَحَ الصِّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَا عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا
وَأَخْشَى مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلُ فَأَعْلَمَ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
لَمْ يَلْسَهُ الْمَلَكُ كَانَ حِينَ لَيْسَتُهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيمَةٌ أُودِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْمَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَاتَمَعَ هُدَيْتَ نَصَائِحًا أَوْلَا كَمَا
أَهْدَى النَّصِيحَةَ فَاتَمَّعَ بِمَقَالِهِ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ أَحْوَنَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غَضَائِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَانَهُ
وَيُبَشُّ بِالْتَرَجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاتَّقِ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

وَأَزْهَدُ قَعْمُكَ مَرٍّ مِنْهُ الْأَطِيبُ
وَأَتَى الشَّيْبُ فَأَتَيْنَ مِنْهُ الْمُهْرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذِيبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسُنَا بِهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ
سَرَدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتَسْلُبُ
دَارَ حَقِيقَتِهَا مَتَاعُ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يُخْرَبُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَدْرَبُ
مَا زَالَ قَدَمًا لِلرِّجَالِ يُودَّبُ
مَضْضُ يَدِلُّ لَهُ الْأَعْرُ الْأَنْجَبُ
قَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْتَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَهْذُ كَسِي ثَوْبُ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيسَ وَيَتَعَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَارْزَمَهَا تَقَرَّ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلَّ مِنْهُ الرِّضَا
وَارْزَعْ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمَا صَائِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِنُكْثَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ رَبَّكَ إِنَّهُ أَقْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَلَّاءَ الدِّينِ لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقِكَ وَأَصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا
وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَاكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْزَرْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَاصْكُتْهُ وَلَا تَبْطِقْ بِهِ
وَأَخْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَعْدًا وَمُجْرَمٌ كَسِيرٌ وَيُخَيَّبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْبِيُّ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِبُ
بِتَذَلُّ وَاسْتِغْثَاؤِهِمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكِبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكُرْبِيُّ الْأَضْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْذِرُ كَمَا يُعْذِرُ الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلَبُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثُرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ
شِبْهُ الزَّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوَّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمَا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَّةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةً الْفَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِيلَتْ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُ مَوَاعِظٍ
فَأَصْنَعْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةً أَوْ لَا كَهَا

فَالَيْتُ يَدُو نَابَهُ إِذَا يَغْضَبُ
هُوَ الْعَدُو وَحْشُهُ يُتَجَبُّ
حُلُو اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَبُّ
وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّلَبُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرْضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
فَالْتَضِعْ أَغْلَى مَا يَبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْظَمُ الدَّرَبِ لَهَا هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَالُهَا لِذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّائِخَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردى

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرُ الْأَغَانِي وَالنَزَلِ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْغَادَةِ لَا تَحْفِلُ بِهَا
وَأَفْكَرِ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجِرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طَرَقًا بَطَلًا

وَقُلِ الْقَصَلِ وَجَانِبِ مَنْ هَزَلِ
فَلِأَيَّامِ الصَّبَا تُجْمُ أَقْلُ
تُسِرُ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلِ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَلِ
كَيْفَ يَسْمَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيُّنَ نَمُودُ وَكُنْعَانُ وَمَنْ
أَيُّنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّنَ أَرْبَابُ الْحُجَى أَهْلُ النَّهَى
سَيَعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ بَنِي أَتَمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
أَطْلَبَ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلُ فَمَا
وَاحْتَقَلَ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجَرَ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَ أَيَّامُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى
جَمِلَ الْمُنْطِقُ بِالْتَّحْوِ فَمَنْ
إِنْظَمَ الشَّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُنَاؤُهُ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُفْنِي كِسْرَةَ
إِطْرَاحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جُهُولَ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ مُتَجَاعٍ لَمْ يَنْلُ فِيهَا الْمُنَى
فَلَمْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلِكُ الْأَرْضِ وَوَلِيٌّ وَعَزَلُ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُنْجِ الْفُلُلُ
أَيُّنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
وَسَيُخْزِي فَأَعْلَا مَا قَدْ فَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْعِلَالِ
أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلُ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يُخْفِرُ مَا بَذَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرَمُ الْإِعْرَابُ بِالْمُنْطِقِ اخْتَبَلَ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّحَلَّ
أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلَ
وَعَنِ التَّجْرِ اجْتِرَاءُ بِالْوَشَلِ
تُخَفِّضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلٍ
وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَأَتْرَكَ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلَ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
 لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ أَلْفَتِي مَا قَدْ حَصَلَ
 قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي وَبُحْسِنُ السَّبْكِ قَدْ يُنْفِي الزَّغْلَ
 إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبُتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصْلِ
 قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقْلُ
 بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رُبَّةٍ وَكَلَّا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
 لَيْسَ يَمْحَلُو الْمَرْءَ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعَزَلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلِ
 دَارِ جَارِ السُّودِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى الثُّقْلُ
 جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرُ بَطْشِهِ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلِ
 لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغِيَةً فِيكَ وَخَافَ مِنْ عَدَلِ
 إِنْ نَصَفَ النَّاسُ أَعْدَاءَ لِمَنْ وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلِ
 قَصِرَ الْأَمَالُ فِي الدُّنْيَا تَفَرَّ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
 غِبْ وَرَزْ غِيًّا تَرُدُّ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
 لَا يَضُرُّ الْقُضْلَ إِقْلَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
 خُذْ بَصْلَ السِّيفِ وَاتْرِكْ غِمْدَهُ وَاعْتَرِ قُضْلَ أَلْفَتِي دُونَ الْحُلِّ
 حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ فَأَعْتَرِبْ تَلَقُّنَ الْأَهْلِ بَدَلِ
 فِيمَنْكَ الْمَاءُ يَبْقَى آمِنًا وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ أَكْتَمَلُ

نونية الى القمح السقي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرِبْحُهُ غَيْرُ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ قَدْ بَانَ
يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا يَا اللَّهُ هَلْ لِحِرَابِ الْعَمْرِ عَمْرَانُ
وَيَا حَرِيسًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجَمُّعَهَا أَتَسِيَتْ أَنْ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ
زَعِ الْفَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرِفِهَا فَصَفِّوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَارْعَ سَمْعَكَ أَمَثَالًا أَفْصَلَهَا كَمَا يَفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعِيدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْمَعُ لِحَدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ قَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِدَيْ أَمَلٍ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحُرَّ مِعْوَانُ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمِنْ هَانُوا
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَتَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ قَتَانُ
مَنْ سَلَّمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَايِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ نَعْدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْعَرَصِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِرُطْبِ الْجَهْلِ نَحْوَهُوَى أَنْغَضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خِيَانُ
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
مَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

مِنْ أَسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرَمَةَ
 وَرَافِقُ الرِّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَنْزُكْ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْرَكَانُ وَمَقْدَرَةٌ
 فَالْرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْمَةٍ
 صُنْ حُرِّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غِلَاتَهُ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَآلَتُهُ دَوْلَتُهُ
 سَحَابَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيُؤَرِّدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمُطَلِّ وَجْهِ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ تَنْبِ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلَا تَدَايِرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكَّضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ

قَيْصِهِ مِنْهُمْ صَلِّ وَتُعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُتُونُ
 يَنْدَمُ رَفِيقُ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَدَمَ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فُكُلُ حُرِّ الْحُرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلُ فِي ثَرَاءِ أُمَالٍ سَحَابَانُ
 فَمَارَعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَارُ لَسْتَ تُخَصِّصِينَ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبُرُّ يُخَدِّشُهُ مُطَلُّ وَلَيَّانُ
 قَدْ أَسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرَأُ كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَمُّنِ بُحْرَانُ

كُنِّي مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَوَزٍ قَبِيهِ لِلْحَجْرِ قُتَيَانُ وَغُنَيَانُ
وَذُو الْقَتَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَقَضَيَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلُ كُنْتَ تَأَلَّمُهُ فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ الْهَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُبَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
هُمَا رَضِيْعَا لِبَابِ حِكْمَةٍ وَتَقَى وَسَاحِكَا وَطْنِ مَالٍ وَطُغْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمِ مَوْطِنٍ فَلَهُ وَرَأَاهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرِحَا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الْقَدَرِ يَقْطَانُ
مَا اسْتَمَرَ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلْذُ مَذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَنْبَشِرْ وَأَنْتَ بَغْيَرُ الْمَاءِ رِيَانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجْ وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَغْتَرَّرْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ خَضِلٍ فَكَمْ تَقْدَمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شَبَابَانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمَنْكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذِرَ أَشْيَبُ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجَبِّرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قِتَاقَةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ هَذِيَّةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيْيَانَ تَيَّانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّيْعُ صَابِغُهَا أَنْ لَمْ يَصْفَحْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

أَلْبَابُ الْخَالِصِ فِي الْأَمْثَالِ

مثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * أَلْصَمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِيٌّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٍ * أَلْصَمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْحُبَّةَ * إِنْ تَكْثُرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * أَلْنَدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنْ أَلْنَدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشُجُّ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرَقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كُشِفَ الْأَمْرُ بَعْدَ اكْتِسَابِهِ) * حَضَخَصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَحَ الْخَضُّ عَنِ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرِحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَلَ
الْعُمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفُكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالتَّيْنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالتَّيْنِ ٧ * هُنْتُ وَلَا تُشْكَدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ان ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لاتهام السياق

١ شَبَّ بِالْخَالِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي يَجْلِبُ شُبَّانًا فِي الْإِنَاءِ وَشُبَّانًا فِي الْأَرْضِ

٢ أَصْلُهُ أَنْ يُخْلَطَ الْوَبَرُ بِالصُّوفِ . وَالْمِطْرَاقُ الْعُودُ الَّذِي يُغْرَبُ بِهِ بَيْنَ مَا خُلِطَ

٣ أَيِ أَخْرِجُوا فَرَخَهَا . يُرِيدُونَ أَظْهَرُوا سِرَّهُ

٤ أَيِ جَعَلَكَ اللَّهُ كَذَلِكَ

٥ أَيِ أَقْصَاهُ ٦ أَيِ نَعِمَ بِكَ ٧ يُرِيدُ بِالرِّفَاءِ الْكَثْرَةَ (كَذَا

فِي الْأَصْلِ) . يُقَالُ رِفَاءُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثْرَةِ ٨ أَيِ أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضَرٌّ

أُمَّهُ * ١ (الدَّعَا بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمَهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَمَهُ
وَكَبَا جَوَادَهُ * تَحَدَّ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَاوُهُ * إِنْتَلَمَ دُكْنَهُ وَأَنَهَادَ جِرْفَهُ *
نَقَبَ خِفْضَهُ وَدَمِنَ ظِلْفَهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْمُهُ * غَارَ مَاوُهُ وَسَقَطَ
بَهَاوُهُ * قَرَعَ فَنَآؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمَعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَفْحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ أَلَا تَافِي ٢ * أَلْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْخِلَابَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَلَذَّبُ يَأْدُو لِلْفَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبْتَزِّ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِيُّ
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمْرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَاةٌ أَوْ عِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
ذُونَ الْعَالِيَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ الْتَبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُنْجَرُ فُلَانٌ فِي
الْعِلْمِ ١٠ * مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهُرُ مِنَ الْأَبْقَى * وَهَلْ

١ يدعوون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن . قاتله الله وأخزاه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما له لا عد من نفره ٢ يريد قطعة من الجبل يجعل إلى جنبها
الثلثان . وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكتها بها
٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه : فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المنكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكراً جنى عيلاً وظل يضرب أخماساً لأسداس

٧ أي يبتله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس
القارح الحمر ١٠ العلم الجوالق يريد أنه لا ينفق مكانه

١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء الماء
فضربت مثلاً

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصَّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرُ * (الرَّجُلُ الْغَرِيزُ يَغْزِي بِهِ
 الدَّلِيلُ) * (إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لَأَحْرُ بَوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَرٌّ * مَنْ قَلَّ ذَلٌّ * مَنْ أَمَرَ قَلَّ أَمْرُ
 أَمِي كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّغْبُ) * فَلَانُ آلَوَى بَعِيدُ انْتِشَامٍ * مَا
 بَنَلَتْ مِنْهُ بِأَفَوْقَ نَاصِلٍ ٤ * مَا يَقَعُّعُ لِي بِالسِّنَانِ * مَا يُصْطَلِي بِنَارِهِ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّغْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ انْتَحَرِدُ) * إِنَّهُ لِيَقَابُ وَإِنَّهُ
 لَعِصٌّ ٥ * أَنَا جَذِلُهَا الْحَكَّكَ وَعَذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ
 لَجَذَلُ حِكَاكٍ * عَنِيتُهُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْجَلَمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرِّعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِي ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرَحَةً إِلَّا أَدَمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتُظْهِرُ مُذِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ الْتَحْرِيرُ .
 فَإِذَا أَدْرَيْتَ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَابٌ

١ الْبُغَاثُ صغائر الطير تستنسر تصير نسورا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفٌ بَنُ مُحْكَمِ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 نِيْعًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمَوَاتِ ٤ وَأَصْلُهُ السَّهْمُ الْمَكْسُورُ الْفَوْقُ
 السَّاقِطُ النَّصْلُ يَقُولُ : فَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكْيُ وَالْعِصُّ الْعَالَمُ الْفَرِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجَذَلُ تَصْفِيرُ الْجَبْذَلِ . وَهُوَ عَوْدٌ يَنْصَبُ لِلْأَبْلِ الْجَرَاءِ لِيَحْتَكَّ بِهِ مِنْ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأَيْهِ يَشْفِي بِهِ . وَالْعَذِيْقُ تَصْفِيرُ عَذْقٍ . وَالْمَذَقُ بِالْفَتْحِ الْخُفْلَةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخُفْلَةُ الْكَرِيمَةَ نَوَامِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلُ بِنَاءً مَرْتَفَعًا يَدْعَاهُ لِكَيْ لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيحُ . وَصَفَرُهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَةُ شَيْءٌ يُعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ قُرِعَتْ لِعَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ (الْمُدَوَانِي) . وَكَانَ حَكَمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَتَكَرَّعَ . فَقَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا زَعْتُ فَقُومُونِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيَتَرَعَّ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

يَأْتِئُ ١ * إِنَّهُ لَخَرَّاجٌ وَلَا جُ * حَلَبُ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُتَجَدِّدٌ ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِسَلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌ يُعَوِّدُ أَوْ دَعُ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا يُنْقَالُ مِنْ ذَلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتُ كُرَاعًا فَصِغْتُ
 ذِرَاعًا * كُنْتُ عَنَزًا فَاسْتَيْسَتْ * سُنْتُ بَعَانًا فَاسْتَسَرْتُ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ * (نَشِيبَةُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلُ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ الْأَيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْئُهُنَّ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا أَلْتَحُلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّبْيَةُ إِلَّا ذَيْبًا * حَدِّدُوا أَلْعُلَّ بِالْعُلِّ
 وَحَدِّدُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ٥ * (أَلْحِلْمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرُّ فَاقْعُدْ ٦ * وَمِنْهُ .
 أَلْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَتَنَصَّفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ قَانٌ
 شِئْتُ تَعَجَّلَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَكَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود للخير والشر ٢ أي اختبر من الدهر خيرهُ وشرهُ . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الجرب . وأصلهُ من
 التواجد يقال : قد عضَّ على ناجذٍ إذا استحك ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه • والقاة الريشة من ريش السهم تحذى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع إليه

الرَّيْحَ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبِّمَا أَسْمَعُ فَأَذَرُ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأَذِنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا خَطِيئَةٌ فَلَا إِلَهَ ٢ * سَوْءُ الْأَسْتِمْسَالِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَتَفَرُّ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرَّ أَرُ النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعِلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُغْضُهُ *
 (الْأَسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ) * قَبْلَ الرَّمْيِ يُرَاشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تُلَاحِظُ الْكُنَائِنُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * اتَّقَدَّمْ قَبْلَ النُّزُولِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرَ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ لِبَدَّهِرٍ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّذْيِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّقْقُ يَمُنُّ
 وَالْخُرْقُ سُوءٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتٍ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنٍ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُغْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحُولُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَثَرِيهِ
 النِّجْمُ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ . وَطَارَتْ

٢ منناه إن لم يكن خطوة فلا

٣ أي باستقباله قبل أن يُدير

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطف

نقصير . وآلا يالو ويأتلي وهو التقصير

بِهِمْ عِقَابٌ مَّالَعٌ ١ * وَالْمَنَآيَا عَلَى الْخَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدَّهِيمُ تَرْمِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُتَادَى وَلَيْدُهُ ٤ * اِنْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظَمَ * (الْيَاسُ وَالْحَبِيبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِخُفْيٍ حَيْنٍ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيَاةِ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ
 خَلْفًا ٧ * (الظُّلْمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ خَضَرَ مَغْوَاةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتُرُ * عَادَ الرَّحْمِيُّ عَلَى الزَّرْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَنْ لِبَاحِثٍ عَنْ مُدْيَةٍ * رُمِيَ بِمُجَرِّهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَعٌ وَلَا
 هِلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ١٣ *

١ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَأَحْسِبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ ٢ قَالَ أَبُو جَبِيدٍ : الْخَوَايَا فِي
 هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَكَبِ النِّسَاءِ وَاحِدُهَا حَوْبَةٌ . وَأَحْسِبُ أَصْلَهَا إِنْ قَوْمًا قَاتِلُوا فَحَمَلُوا
 عَلَى الْخَوَايَا فَصَارَتْ مَثَلًا ٣ مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ ٤ مَعْنَاهُ أَنْ الْأَمْرَ اشْتَدَّ حَتَّى
 ذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَلَيْدَهَا ٥ أَيُّ مَنْ لِي بِالْيُسْنِ بَعْدَ الشُّؤْمِ
 ٦ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
 وَأَدْرَعُ الْخَوَافَ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصِيبُ النَّسْرَ وَالْفَرْقَدَيْنِ
 وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْعُمَمِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخُفْيٍ حَيْنٍ

٧ أَيُّ اطَّالَ السُّكُوتُ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ . وَهَذَا الْمَثَلُ يَقَعُ فِي بَابِ الْيَاسِ وَلَهُ هُنَا وَجْهٌ آخَرٌ أَيْضًا

٨ وَالْمَغَارَةُ الْبَيْرُ تُخْفَرُ لِلذَّنَابِ وَيُجْعَلُ فِيهَا جَدْيٌ لِيَسْقُطَ الذَّنْبُ فِيهَا لِيَصِيدَهُ فَيَصْطَادُ

٩ وَهُوَ الرَّمَاةُ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ رَحِمَهُ ١٠ مَعْنَاهُ لَا شَيْءَ لَهُ

١١ وَهُمَا الْجَدْيُ وَالْمَنَاقِ ١٢ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَجُزِبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فَيَلْسَنُ لَهُ

١٣ وَهُمَا الضَّائِنَةُ وَالْمَاهِزَةُ

١٤

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا خَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْأُورِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا بِهَا وَارِثٌ وَمَا بِهَا صَافِرٌ . وَمَا بِهَا دِيَارٌ وَمَا
 بِهَا نَافِخٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا بِهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتَحْجَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعَالَمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوَمِينَ اللَّوْءُ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرَةٍ .
 وَلَا قَيْلًا مِنْ دَبِيرَةٍ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِهِ أَطْوَلُ وَأَكْثَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرَهُ مِنْ يَمْنٍ يَبْرَهُ * وَأَيُّ طَرْفِهِ أَطْوَلُ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه أبياتٌ ذهبت مذهب الامثال وأكثرها للمتنبى والحريزي

إِنَّمِ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنَ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ رُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَابَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْخُطَابِ السَّمْعُ
 أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحِرٍّ صَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَزْزِ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَكَ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مِنْ بَغْيٍ مِمَّنْ تَبَاكَى
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَهُمْ فِي الْأَنْزِلِ الْحُسَيْنُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحريك الوتر والحبض صوته وقال:

والنبل بجوي نبضاً وحبضاً ٢ ١ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن

يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإنبات

والإحباب وإنما يقولونها في النبي والمجد

قبل الجبل والديبر ما أدبرت به منه

والقبيل ما أتلفت به من

إِنَّ الزَّرَارِيَّ لَمَّا قَامَ قَائِمَهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِغْ تَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا أَلْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فِسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَخْرِسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقَاتِلَهَا
 بِذَا قَضَتْ أَلْيَامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيقَتَهُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمَرُ
 قَدْ تَكْرَأُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ يَمَجِبُ الرِّيحَ سَاقِطَةً
 كَبْرٌ بِالْأَسْبَوِيَّةِ بِالْأَحْسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلِيقُ يُبِضُّ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرَّ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قُطَاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعُ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَقُهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بُدُّونَ الشَّهِيدِ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدُودُ
 وَلَا سَمَاوَهُمْ تَهْلُ بِالْدِيمِ
 وَيُكْرِ الْقَمُّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ أَهْجِ
 قَدْ بَلَوْتُ أَلْرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُمُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانُ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ مُخَوَّلًا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَایَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ السَّمُولُ
 مَا أَنْتَ أَوَّلُ سَارِ غَرَّةٍ قَمَرُ وَرَأَيْدِ اعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْعُضْبُ كَوْنُ قَرَابِهِ خَلَقًا وَلَا الْبَازِي حَقَّارَةُ عُشِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ فَرَشَتْ لِحْنِيهِ شَوْكُ الْقَتَادِ
 وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِهِ أَتَقَى شَرَفَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلِائِقِ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
 وَمَا الْخِدَانَةُ عَنْ حِلْمٍ يَمَانَعُهُ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ
 وَمَا مَنَزِلُ الْأَلْدَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ إِذَا لَمْ أَجْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتَمِّمِ
 وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرِبُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَيُّوِي الْجَمِيلَ مُحِبُّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذُرُّ الْمَطْيَ بِلَا سَنَامِ
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا اتَّخَمْنَا صَغَرَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
 وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرَّانِ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ السَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْبِ

وَفِي تَعَبٍ مِّن تَجِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعِيهِ
 وَقَدْ نَجَّ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
 وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
 وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى
 وَمَا أُنْفَخُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
 وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِي أَنَّهُ
 وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَّاحٍ بَارِقُهُ
 وَالنَّارُ فِي أَخْجَارِهَا مَحْجُوءَةٌ
 وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
 وَمَنْ يَنْشُدُ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
 وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا
 وَالنَّجْمُ تَسْتَضِئُ إِلَّا بِصَارُ صُورَتِهِ
 وَكَمْ مُضِيرٍ بِنُفْضِ بُرَيْكَ حَبَّةً
 وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْجَحَةٌ
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحَسَامَ بِضَارِبٍ
 وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبٍ
 حَتَّى الدَّيْبُ كُلُّ الْخَوْفِ مِنْ جَاءِ تَابِيَا
 إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِطَارِقٍ
 إِذَا حَصَّاتِ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
 مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
 عَلَى الْمَاءِ خَائِتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
 مُضِرٌّ كَوْضَعُ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شَهْبُ ظَلَامِهِ
 وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ تَحَاكَا
 لَا تَلْطِفِي إِنْ لَمْ تُثْرِهَا إِلَّا زَنْدُ
 وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرُمُ
 فَلَا بُدَّ أَنْ يُثْبِتِي بِشِيرًا وَنَاعِيًا
 وَمَبْدَأُ طَلْعَةِ الْقَمَرِ الْهَلَالُ
 وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ
 وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهِيَ فِي النَّفْسِ بَارِدُ
 وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَقَرَّبُ
 وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعِ بِكَابٍ
 وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخْفِي الْعِدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يُوْح
يَا جُلَّ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطَلَابُنَا قَارَعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرُقِ
يَمْرُوعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَبِينِ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَعْمَالِ الْعَلَمِ

١١٤ نَجَّةٌ مِنْ تَغْرِيدِ الصَّادِحِ لِابْنِ حُجَّةٍ الْحَمَوِيِّ

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التُّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فَيْلَةٍ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَاسَ الْمَلُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَأَنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَعْتَرِزُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَمَا لَمَدَامَةُ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالذَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوَلَا بُدٌّ لَهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمُوجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلَا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمَلُوكِ طَرًّا عَقْدًا مِنْ غَرِّهِ السَّلَامُ فَأَقْصَى الْجُدَا
لَا تَيَاسَسْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٌ تَظْهَرُ بَعْدَ مُنْعَفٍ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّانِي مَا لَمْ تَسَلْ بِالْجِرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرًا فَرِيًّا أَسَالَتْ الدَّمَّ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجٍ عُنْوَانُهُ مَلِجُ
 قَالَعَايِلُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَتَشَنَّى لِرُخْفِ الْقَالِ
 مَا طَابَ قَرَعُ أَصْلُهُ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ تَجْدُهُ حَدِيثُ
 وَابْنِي فَأَحْذَرُهُ وَخَيْمُ الْمَرْعِ وَالْعَجَبُ فَأَزْكُهُ شَدِيدُ الْمَصْرَعِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَدْعَى الْعَهْدَا

من قصيدة الى الغاية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
 يُنْشِئُكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَمِنُ الرَّأْيُ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَقْصَ عَيْشًا كُلُّهُ فَنَاؤُهُ
 يَارُبُّ مَنْ أَسْتَخْطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْثَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْثَرِهِ
 مِنْ لَكَ بِالْخَضِ وَكُلُّ مُتَمَرِّجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ قَتْلُجُ
 الْخَيْرِ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مِنْ لَكَ بِالْخَضِ وَلَيْسَ تَخْضُ يَجْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
 عَجِبْتُ حَتَّى عَنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٌّ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتري

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التِّجَارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ تَحَايِلُ السَّعَادَةَ
مِنْ جِنِّهِ لَا نِحَةَ . وَرَوَّاحُ التَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَائِحَةً . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَعْلَى عَيْشٍ وَمَقَامٍ . أَلْمَاءُ رَاقٍ . وَالْهَوَاءُ
مُوَافِقٍ . وَالنَّكَدُ مُفَارِقٍ . وَالسَّرُورُ مُرَافِقٍ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسَفِ الْعَوَافِ أَمِينَةٌ . تَجَارِي السَّهْمِ وَالطَّيْرِ . وَتُبَارِي الدَّهْمِ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتِ . وَالْأَمْوَاجِ مَا جَتِ . وَأَثْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شَيْخَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ . وَرَقِمَ نَشْأَ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمْنُ فِيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَهْطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَرُبَّمَا مَرْقُومًا مِنْ تَحْتِ الزَّوْرِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سَكَارَى
وَمَا هُمْ بِسَكَارَى يَتَأَشَدُّونَ :

وَفَلَكَ رَكْبَنَاهُ وَالْبَجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَسَارَ وَخَارَ وَمَارَا
فَطُورًا أَعْلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا دُيُنَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا أَنْحَدَارَا
وَأَخْرَأَ الْأَمْرَ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاجِهَا . وَتَلَقَّى السَّلَامُ
بِلُوحٍ مِنَ الْوَاحِجَا . وَاسْتَمَرَ تَقْدِيفُهُ الْأَمْوَاجَ . وَتَضَطَّيْمُهُ بِهَ أَثْبَاجِ
الْبَحْرِ الْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبُ نَاجِلٍ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاكِهَهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى قَمَرٍ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِهَ
الْمَسِيرِ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سُودًا كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوَلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءً
وَرِجَالًا . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُيُولٍ تُضْرَبُ .
وَقَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٌ تَرَعُقُ . وَالسَّنَةُ بِالْثَنَاءِ تَنُطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَاكْبَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقُولُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَشِيرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَلْعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْحُلْعَ السَّلْبِيَّةَ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلَيْهِ . بِكَنْبُوشٍ ذَهَبٍ . وَسَرِجٍ مُفَرَّقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّاجَ عَلَى الْفَرْقِ . وَمَشَوْا فِي الْحَدَمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابُ فِي
 الْمَوَاكِبِ تَجَرُّ لَدَيْهِ . يُتَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 سُقَّ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 مَحَامِرَ النَّدَى وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالْأَسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَذْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُنَّا
 عَسِيدُكَ . وَتَابِعُ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَحْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصِّغَارِ . وَأَمْرٌ فَاثِمَتَالِ أَمْرِكَ عَلَيْنَا نَحْتُمُّ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَمَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَاهُ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدى . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدِرْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُجِدْ حَدًّا لِعِبَادِهِ وَلَا عِثَا . وَجَعَلَ يُلَازِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بِبَابِ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْحِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمُنَاصِبِ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنَبِّئٌ إِلَى أَحْوَالِ الرِّعْيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَعَدِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ الْمُبَارِ . مُؤَسَّسُ قَوَاعِدِ الْمُلْكَةِ وَالسَّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَخَصُّصُ عَنْ مَصَالِحِ الْمُلْكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بَابَ الْوُظَايِفِ مَا يَقْتَضِي مَسَلَكُهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ عَلَى شَابٍ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بِضَاعَةٍ . مُتَصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَاتَّخَذَهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُسِيرًا . فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُ وَيَرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيَذْنِبُهُ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَابِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصْفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلَبَّيْهِ . وَسَكَنَ فِي سُودِيَّاتِهِ . وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْسَانِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ . وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ إِمْرِيهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ وَعَسَاكِرَ إِفْلِكِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةِ تُجَرِّي . سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ بِرُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُواكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ . وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ . وَتَبَّتْ
لَهُ أَوْتَادُ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ . حِرْوُهُ بِرَجُلِهِ مِنَ التَّخْتِ . وَسَلْبُوهُ
تُوبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ تُوبَ الدَّلِّ وَالنَّكَالِ . وَأَوْتَقُوهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفَرٌ أَغْبَرُ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ . وَلَا حَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نُشْرٌ وَلَا نَمَاءٌ .
وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ .
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمُرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ قَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَهْلِكَ عَطْشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
يَسْتَأْتِفُ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَنْجُرُّونَ بِالْأَهْبَةِ
الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّائِلَةِ . فَيَقِصُّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَأْبُهُمْ وَدِينُهُمْ .
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْغَلَامُ أَتَفْجَحُ . لِذَلِكَ

الْوَزِيرُ الْمُضْلِحُ : فَهَلْ أَطْلَعَ أَحَدٌ مِنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْثَمِ .
 قَالَ كُلُّ عَرَفٍ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَانَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالْتِسْلُطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْحَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ لَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَيْثِرُ . وَلَا مُغِيثُ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ . وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْعَلَامَ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرُهُ وَيَتَلَفَ
 خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَالِكٌ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْرُ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يَفْكُرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالتَّفَصِّيِّ مِنْ شَرِّكَ الْاِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْحَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنُّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَمِيمًا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُنْجِيهَا . وَيُدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلَاءِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُفْنَنِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَارِيِّينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْتَّجَارِيِّينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَا كُنْ مَكِينَةً .
 وَمَخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَقَالَاهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ .
 وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِيَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَّةِ . وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجَبِّزَنَّ لَاهَالَ وَالْإِهْمَالَ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَسْحَارِ وَاللَّيْلِ وَالْأَصَالِ . إِذَا

أَوْقَاتًا مَحْدُودَةً. وَأَنْفَاسًا مَعْدُودَةً. وَسَاعَةً تُتَمَّضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ.
بَحْثُ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطُرِحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْفَقَارِ. وَجَفَانَا
الْأَصْحَابُ. وَتَحَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ.
وَأَحْتَوَشْتْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ. فَنُورُ الدَّاءِ. نَحْمَدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَاتَيْنِ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمُرَاكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُعِدُّهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاتُورَ الْعِمَارَةَ. وَانْكَمَأُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالِيهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالزَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَقَائِسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِينِ. وَجَهَّزَ لِحَدَمٍ وَالْحَشَمِ. وَصُوفِ الْإِسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلْكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفٍ لِلرَّحِيلِ. وَرَايَضُ
لِلنُّهْوضِ وَالتَّخْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَمَّلَ لَهُ فِي الْمُلْكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. مِمَّنْ كَانَ يَفْقِدُهُ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنُصُوحِهِ.
وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلَبُوهُ تَمْلِكَةَ الْعَظِيمَةِ . وَزَالَتِ الْجِشْمَةُ وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
وِنَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَدَقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِمَقْدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَاسْتَمَرَّ فِي أَمَمِ سُرُورِهِ
وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْقَرِ جُبُورِهِ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفَكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحَدَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى غُنْدَلِيهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَّلَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَائِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَمَثَّلَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتْ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَجَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لَطِيبَ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ حَمِيمًا أَقْصَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْحَامِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ لَيْسِمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ نَشَرُهُ صَاعِدُ
 فَطُورًا يَتَوَحُّ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاقِدُ الْوَاحِدُ
 وَسَكَبُ الْقَعَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غُصْنُهُ الْمَانِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَأَى الرَّيِّعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يُتَرَجُّهُ وَزَدَهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَاجِلِكَ مُسْتَنْبِطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاهِدُ
 وَكُلُّ لَوْلَانِهِ ذَاكِرٌ مُقَرَّرٌ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَاوُلٌ مَا سَمِعْتُ هَمَمَةَ النَّسِيمِ . يَتَرَمُّ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانٍ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَيْنُ
 الْإِنْعِطَافِ . سَرِيعُ الْإِتِّتَافِ . يَعْتَرِفُ بِلُطْفِي ذَوُو الْأَلْطَافِ . وَلَوْلَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَخَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِنْغَوَاءِي . بَلْ اخْتَلَفَ فِي الْفُضُولِ الْأَرْبَعُ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَآتَفَعُ .
 فَاهْبُ فِي الرَّيِّعِ شِمَالًا فَانْهَجِ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَضْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَاهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَأَنْبِ الثَّمَارَ . وَأَصْقِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلُّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُ فِي الشِّتَاءِ دَبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ ثَجَرَةٍ حَمْلُهَا . وَيَجِفَّ وَرَقُهَا
 وَيَبْقَى أَصْلُهَا . قَاوَا الَّذِي تَنْمُو فِي الثَّمَارِ . وَتَرْهُوِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلْسَلُ بِي الْأَنْهَارِ . وَتَلَحُّ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّجَارِ بِأَقْنَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذَا قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أُرْوَرُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَغْتَمُوا وَقْتِي فَأَلَوْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّعْمُ
 فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عِلَامَةِ الدَّهْرِ الْمُسْكُودِ . وَالْعَيْشِ الْمُرُورِ .
 أَنِّي حَيْثُ مَا نَبْتُ دَارَ الْأَشْوَالِ تَرَاخِي . وَتَجَاوَرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَالِ شَوْكِي مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُّ الْوَرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمَرَادِ . فَيَنْمَا
 أَنَا أَرْفَلُ فِي حُلِّ النَّصَارَةِ . إِذَا أَقْطَقْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسْلَمْتَنِي
 مَنْ بَيْنِ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كِبْدِي . وَيَمِزُّ جُلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي النَّدْيُ . فَلَا يَقَامُ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاضِرًا . فَهَرِّي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبُعْدُ
 وَيَا اللَّهُ مَنْ أَصْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرَسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ النَّسِيمُ بِسِرِّهِ .
 وَلَشَرِّ السَّحَابِ عُقُودَ دُرِّهِ . وَتَضُوعَ الْبَهَارِ بِدُخْرِهِ . وَتَبَهَّرَ الرَّيِّحُ

بَقْلَانِدٍ فَخْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنْ الرُّوضِ الْأَنِيقِ
 أَزْهَارَهُ . فَهُمْ بِنَا تَفَرَّجَ . وَنَتِيهِ بِحُسْنِنَا وَتَتَبَرَّجَ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ مُتَخَلِّسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهِا تَحْتَسِرُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الْيَاحِينَ . بَشَسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 رَزَلْتَ عَنْ شَيْمِ الْأَمْراءِ . بَعْدَ تَأْمَلِكَ الصَّوَابِ مِنَ الْآرَاءِ . فَمِنْ
 الْمُصِيبِ إِذَا زَلَلْتَ . وَمِنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَلْتَ . تَأْمُرُ بِاللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى التَّزِهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُجْبِكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَائِلَ غُضُنُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقُكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقُكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِيسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجِلَابَابِ وَالثِّيَابِ .
 مُخْتَلِفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فِينَهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذُبُّ . وَيُحَوِّلُ خُطَابَهُ وَيُقَلِّ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْنَوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّلَامُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيَسَةُ لِأَسَدِ الْجَمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

إشارة الدرجس

١٢١ فَأَجَابَهُ النَّرَجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمَنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلِمُ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْتَقِي بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِعًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةُ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى التَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِهَيْدٍ مَنْ وَصَلَنِي بِرَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَاسِي بِصَفْوِهِ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّمُرْدِ آسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّحْيَيْنِ وَاسْتَجِدَّ لِباسِي . أَتَلَمَحُ تَفْصِيرِي
 فَاطْرُقُ إِطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأَفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأَحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَاطْرَاقِي أَعْتَرَفُ بِتَفْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظَرُ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُبْتُ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَالِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْمَأْدِمِينَ عَدَا نَافِعِي عَلَيَّ وَلَا عَمَلِي
 مُقْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَتَحْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَایِلُهُ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثَرَةِ تَمَایِلِهِ . وَغَنَفُوهُ عَلَى إِنْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَایِلُ هُنَاكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . مَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَایِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتَرَأَزَ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَظْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَتْ لِي كَسَمَاتِ الْأَشْخَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالْإِلَى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرِدَ . وَالْإِلَى الزَّهْرِ وَقَدْ ائْتَقَدَ . وَالْإِلَى الْحَبِّ وَقَدْ ائْتَقَدَ .
 وَالْإِلَى الْغُصْنِ الْيَاسِ وَقَدْ كُسِيَ بَعْدَ مَا ائْتَجَرَدَ . وَالْإِلَى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ ائْتَحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمِدٌ . وَمَوْجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ ائْتَفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَعْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لَكَ تَمَّائِلَتِ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّلَتْ بِلَابِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعُطُ عَلَى الْوَرْدِ فَأَخْبِرُهُ بِوُجُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصِدِي وَوُجُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمُرَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ تَجَمَّلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْأَتْلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْأَتْلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَتَنْتَظِفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَتُخْتَطِفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسًا بِأَلَاخِرَاقِ . وَتَنْقَطِرُ دُمُوعًا بِأَلَاإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فَنِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُونَا وَوَرَوَانَا

إشارة البنفسج

١٢٣ فَتَنْفَسَ الْبَنْفَسَجُ تَنْفَسَ الصُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهُ تَأَوَّهُ الْبَعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَا . وَأَكْنُتُشِي بِالنُّحُولِ أَثَوَابًا جُدَدًا . أَفَنَتِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِلْدًا
 وَلَا جِلْدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَا بَسًا
 مُجَرَّدًا . وَجَمَلَةُ حُصُولِي . أَتَنِي أَوْخِذُ أَيَّامُ حُصُولِي . فَنَاقِطُ مَنْ أَصُولِي .
 وَأَمْنَعُ بَيْنَ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَّقُوهُ عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسَفُ بِي مَعَ تَرْفِي
 وَلُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَمَّ بِي مَنْ حَضَرَنِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مَنْ نَظَرَنِي .
 ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِأَنْجَسِ سَوْمٍ . وَيُعَادُ
 عَلَيَّ بَعْدَ النَّشَاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
 مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَا بَسًا . وَمِنْ النَّضَارَةِ آئِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
 مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَتَفَشَّشُ بِي الْأَوْرَامُ الْفَاشِيَةُ . وَتُنَادِي الْأَلَامُ
 الْقَاسِيَةَ . وَتُلْطَفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَلَاتِيَّةُ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
 الْعَلَادِيَّةُ . فَأَلْنَسُ مُتَمَعِّنٌ بِبَاسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
 غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
 أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أذْكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَزْدَجَرَ .
 وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ أَلْبَسْتِجَ إِذْ غَدَا . يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْصَانِهِ
 جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّرْجَدُ رُصِعَتْ . أَخْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
 فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنْ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِزَامِ .
 فَمِنْهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْقَرُ بَعْدَ النَّظَامِ . وَبِالْثَمَنِ الْبُخْسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّتَامَ . وَلَا أَتَمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .
 أَرَأَيْكَ الْوَحْشَ فِي الْغَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقَارَ . أُحِبُّ الْخُلُوتَ .
 وَأَسْتَوِطِنُ الْقُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِئُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أَحْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْمَهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضِ نَجْدٍ نَازِلٍ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْفَسِيجِ . وَقِفْتُ بِجَاوِرَةِ
 الْأَنْدَارِ وَالشَّيْخِ . تَعَبُ بَشْرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدْسِ
 وَالنَّسِيجِ . لَا يَشْفِينِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ السَّيِّحِ . وَصَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغَدَوِ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْخُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِالنَّفَاقِ فِي
 سُوقِ الْبَفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَاللَّسِيمِ يَهْمُ بِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أُعْطِرُ الْبَادِي . بِعَطْرِ الْبَادِي . وَأَرْوِحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْخَادِي . حَنِّ إِلَيَّ كُلَّ رَاحٍ وَغَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ فَتَفَسَّسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نَدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَتَّبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ بِي يُبَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرَفُلُ فِي تَوْبِي
 أَلْقَانِي . وَأَنَا مَذْخُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحُضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالْتَّوَاطِيرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمُنَافِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَنْحِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي تَحْشُوا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِنْجَابِي بِأَثْوَابِي . سَبَبًا لِلْحِجَابِي عَنْ تَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُتَأَفِّقِ الَّذِي حَسَلَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِحَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَيِّئُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزَاهِيرِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَايِ
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَايِ
 قَدْ تَحَسَّنَتْ مَنَظَرًا وَبَاسًا وَرَزَايَا تَحْشُوءُ بِحَشَايِ
 وَاحْيَايِ إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَانْجَلَّتِي وَاحْيَايِ
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَصْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

فَأَنْبَسَتْ وَسَاحَ فِي قَسِيعِ الرِّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَتُنْكِرُ قُضِي
 عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَائِثُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
 جُودِي . وَكَسَلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرْزَا بِبِرِّي . وَأَتَجَرَّ دُرًّا
 بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُذِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
 فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفُطَامُ . أَقْطَعُ تُذِي عَنْهُ
 قَيْضُ لَأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي أَنْسَابِ عِبْرَاتِي .
 وَشُورَهُ فِي بَيْتِ قَطْرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
 بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ أَلْبَوِ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنْبَغُ أَنْ أَمْضِعَ لِمَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَاقَاتِ أَنْهَارِهَا .
 إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلُ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
 وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِمَجْلَعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَائِمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
 بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَفَانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
 الرَّبِّ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعَ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ قَرَحَانَ .
 وَفِي النِّبَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَأَنَا بِنَعْمَتِي طَرَبَانُ .
 وَمَنْ تَشَوَّنِي سَكْرَانُ . فَإِذَا رَنَزِمَ التَّسِيمُ وَصَفَقَتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
 أَرْقُصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
 تَحْسِبُنِي فِي ذَلِكَ عَائِنًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَائِنًا . وَإِنَّمَا
 أَنْوَحُ حَرْبًا لَا طَرَبًا . وَأَبُوحُ تَرْحَالًا فَرَحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبْلَبْتُ عَلَى بَلْبَالِهَا . وَلَا تُزْهَى إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَضْحَالِهَا . وَلَا
خُضْرَةٌ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ .
وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّتْ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
قَانَ . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يَحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشِ
يَزُولُ . وَوَصَلَ عَنْ قَرِيبٍ مَفْضُولُ . وَهَذِهِ الْجَنَلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُضُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ أَلْحَمَى رَوْحِي وَرَبِّحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَرَّرْتُ أَلْحَانِي
رَوْضُ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضِ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرِ فَقَمِ أَوْ أَخْضَرِ رَقِي أَوْ أَحْمَرِ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمَلُّ الْوَصْلُ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ قَانِي

إشارة الباز

١٢٨ فَتَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مِيدَانِ الْبِرَازِ . وَنَحَكَ لَمَدَ صَغُرْ جُرْمِكَ .
وَكَبُرْ جُرْمِكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بَتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ اللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَفْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذَتْ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسَتْ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَقْصَحْ بِهِ بَيَانِكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِمْتِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرِثْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقَ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصَّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْعَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَقْسَمْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبَرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الثَّرَيَّةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيَّةِ بَحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَظْلَالِ نَحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرْبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَأَمْسَحْتُ حِينَ امْتَحَنْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُوَدِّي تَخْلِيطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بِصَرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنْ عَيْنِيكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تَحْرُكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمُشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقِي
 لَا أَنَا لَمْ . وَمِمَّا أَلَا فِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُنِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَضْحَيْتُ مُوَدِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَاطَاقْتُ وَأَرْسَلْتُ . فَأَرْفَعْتَ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَأَكْفَهُمْ نَحْتُ أَقْدَامِي :

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قَرُبَ مَنِيِّي لِنَخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعِ الْإِحْسَانِ
 أَرْسَلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغَاهُ نَضَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفِرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُهُ ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعَمْرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِوِظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوِّقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ يَطُوقُ الْأَمَانَةَ .
 الْمَقْلَدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِحَمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الرِّسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلِكَيْ أُخْبِرَكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ آمِنٌ . وَلَا كُلُّ حَالِفٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَائِلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ جَانِبِي .
 فَيُشْتَرَى بِالْخَرْجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَجْمَلَ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحٍ سَائِحٍ . جَارِمًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِبٍ . فَأُهَاجِرُ . وَأَكَابِدُ الظَّمَا فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَنَعٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِكٍ يُعْغِي عَن
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَذَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْبَشَارَةِ خُلِفْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُزْجِرُهُ عَذُولٌ . وَلَا يَنْبِي مُعْتَمِدٌ عِنَانَهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانَهُ

وَحَفِظُ الْعَهْدَ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ قَتَى إِلَّا وَرَآئَهُ

إشارة لطاف

●

١٣٠ (قَالَ): قَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ، وَأَشْرَافِ
 الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ، وَهُوَ بِأَلَيْتٍ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
 مَا لِي أَرَاكَ لَلَيْتِ لَازِمًا، وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
 أَمْرِكَ حَازِمًا، لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ. وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَبَسِكَ.
 ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
 قَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَثِيفَ الطَّبَعِ، يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اسْمَعْ تَرْجَمَةَ حَالِي.
 وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْتَحَالِي، إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
 وَأَسْتَوَطَنْتُ السُّفُوفَ، دُونَ الشَّعَابِ وَالْكُفُوفِ. لِفَضِيلَةِ الْغُرَبَاءِ.
 وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونُ غَرِيبًا.
 وَجَاوَرْتُ خَيْرَ أَمْنِي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عِيشَ الْغُرَبَاءِ، وَأَفُوزْ
 بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ، مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
 فَقَصِدْتُ الْمَنَازِلَ، غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
 وَأَكْتَسِبْتُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقَفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ، وَلَا لِأَهْلِ
 الدَّارِ كَالْعِدَارِ. بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمٌ
 جَارِي، أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ. فَرُهِدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
 هُوَ الَّذِي حَبَّنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ، لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
 بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ، لَا فِي أَغْدِيَتِهِمْ، مُزَاجُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسَبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّهَبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسَبٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بُرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حُبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحْبِكَ
 اللَّهُ . وَأِرْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحْبِكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرْكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَفَّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا .

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْقَرِدٌ فِي الْخَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَاقِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخَطَّافِ وَائِقًا . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شَيْءٍ زَادَهُمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ تَرَوْ فَرَجَهُمْ
 وَأَعْيَادَهُمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخَلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةً . فَهَلَّا اسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَرَهَدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكِلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَرَايَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُذُرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخَرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْفَرَاءِ قَرِيدًا. وَعَنِ الْأَثَرِابِ بَعِيدًا شَرِيدًا. فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثَرَابَ. كَفَرُ يَسَاكِينُ الْأَثَرَابِ. مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ.
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ. بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ. وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 السَّعِيرِ. وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ. وَعَلِمَ أَنَّ قَرِيبًا فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبًا فِي
 السَّعِيرِ. أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا. وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَفْتَرَابِهَا.
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا. وَإِلَى النَّفْسِ وَكُتْسَابِهَا. فَشَغَلَنِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي. عَنْ مَنْزِلِي الْخَالِي. وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي. وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي. وَأَهْمَنِي صَحَّتِي وَاعْتِلَالِي. عَنِ الْفُصُورِ الْعَوَالِي. فَجَلَا الْيَقِينُ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ. فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمُ وَلَا زُهْدَةً.
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ. وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ.
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ. فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ. (قَالَ):
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتُهُ بِجَمَاعِ قَلْبِي. وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ غَجْبِي

إشارة الدرة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدَّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ. وَمِنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ. أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَسَمِعْتَ عَزِيمَتِي. كَيْفَ عَلَتْ قِيَمَتِي. فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي. مَا بَرَّ قَضِيهِ
 أَبْنَاءَ جِلْسِي. أَلَكُنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ. وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ قَرَأْتُ آدَمَ
 وَبَيْنَهُ مِنْ دُونَ الْكُلِّ هُوَ الْمَوْجُودُ. خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ. فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ. وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ.

فَلِذَلِكَ زَاجَعْتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَخْلَقْتُ بِهِمْ وَأَخَاطَبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلْتُ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ الْدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

اخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصَحِّ النَّاسِ مَخْبِرُ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطَهَرُ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ تَسَهُلًا بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَلَسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُكَ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْفَيْضَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أَزَاجِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَا جِمِ . لَعَلَّهُ يُوهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاجِمِ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَذَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَائَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) قُلْتُ : تَأَلَّهَ لَهْدَ فَارَ أَهْلُ الْخُلُوتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمَنْعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَمِنْ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وَضِيفَةً . أَوْقَطُ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبْشُرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصْفَقُ بِجَنَاحِي بِشْرًا لِلصَّيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصَّبَاحِ تَنْبِيْهَا لِلنِّيَامِ . فَتَصْفِقُ الْجَنَاحَ . بِشْرَى بِالنَّجَاحِ . وَتُرِيدُ
الصَّبَاحَ . دُعَاءَ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَضِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وَرَدِّي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّلَاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
فَأَتَمُّ سَاعَةً . إِلَّا وَلِيَّ فِيهَا وَظِيفَةُ طَاعَةٍ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
تَغْلُو قِيَمَتِي وَلَوْ أَشْتَرَيْتُ بِالْمَوَاقِيتِ . فَبِهَذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
وَأَشْفَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْعُ بِالْأَجَاجِ . وَلَا أَخْتَصُّ
دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرِيَّةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَبَّةِ . إِنْ
رَأَيْتَ حَبَّةَ دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتَهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِيثَارُ . إِذَا
حَصَلَ الْفِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعُ لِأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرُ لَهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
يَذْجُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَتَنَبَّهُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي
تَعْمِيمِهِمْ سَاعِي . فَهَذِهِ شِيمَةُ أَوْصَافِي . وَصِحَّةُ إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي :
يَذْكُرُ اللَّهُ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَذْهَبُ الْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلَكِنْ أَنَا مَنْ يُصْنِي وَيُدْرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعْبَهُ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَتَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ : يَا مَنْ يَدْرِي
هَيْتَهُ انْحَطُّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقِي . وَلَا تَسْلُمُ مِنَ الضَّيْرِ فَتَسْبَقِي .
فَأَنْتَ كَأَنْتِ لَا أَرْضَا تَقْطَعُ . وَلَا لَزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَتَّقُ .
سُقُوطُ نَفْسِكَ أَلْفَاكَ عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبُكَ عَنْ
أَوَائِلِ . وَمَارِجٍ فِي الْمَتَاجِرِ مِنْ لَمْ يَقْطَعِ الْمَرَاحِلَ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ بَاتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرَّتْ فِي
الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرِنِي كَيْفَ مَلَكَتُ هَوَايَ . فَمَا لَكَ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَاحٍ . وَفِي الْبَحْرِ سَاحٍ . وَفِي الْمَوَاءِ
 سَاحٍ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَثْرِي . فَأَعُوصُ فِي
 صَفَاءِ تَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَالِيهِ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَظْفَرْ إِلَّا بِزَبَدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَخْذَرْ مِنْ دَوَائِلِهِ وَلَجَاجِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَاظِمِ نَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مِنْ رَكَبِ قَارِبٍ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ .
 فَهَذَا لِكَ يَمُوقُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرُدُّ مِنْ عَذْبِهِ وَفَرَاتِهِ :

يَا طَالِبَا لِلْمَعَالِي مَرُّ الْمَعَالِي غَالِي
 قَدَمٌ قَاوُلٌ نَقْدٌ مُجَلُّ أَلْجَالِ
 مَا اسْتَعَذَّبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
 حَمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حَمَاهُ حَيْدُ الْوَصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي حُصِّنَتْ بِسُتْرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَعُ لَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حَمَاهُ ذَوُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَاتْرُكْ مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

١٣٥ (قَالَ): فَكَادَتْ النُّحْلَةُ: يَالَهَا مِنْ نُحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةٌ. فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقِيلَ دَعَاؤُهُ. وَعِلْمٌ صَفَاهُ سِيرَهُ مِنْ تَجَوَّاهُ. وَمَنْ مَحَاقِقَهُ دَعَاؤُهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ. وَلَا تَرْبِ فِرْعًا يَنْقُضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي. كَيْفَ رُفِعَتْ رُتْبَتِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَلَّ أَدْيِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ الْحِلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ. أَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّي ذُلًّا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعَمِهِ فَضُولًا وَجَمَلًا. أَتَبْنِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلُ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مَبَاحِ الْأَشْجَارِ قُوتِي. أَتَبْنِي بُيُوتًا يَحْجِزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيَتَغَيَّرُ أَقْلِيدُسُ فِي حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْفُطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ. فَلَا أَكُلُ ثَمَرَةً. وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَأَوَّلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَغَدَّى بِهِ قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي. وَقَدْ صَفَا كَدُّ عَيْشِي. فَأَسْتَعْلُ فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلَصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتُرُ عَنْ الذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَتَمَّجَ عَلَيَّ وَعَمَلِي. شَمْعِي وَعَسَلِي. فَالْتَّمِعْ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمُتَقُولِ. وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمُتَقْبُولِ. فَالْتَّمِعْ لِلضِّيَاءِ وَالْعَسَلِ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَنَا قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَائِي. وَإِنْ أَنَا عَالِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أَجْرِعَهُ مَرَارَةً لَسْمِي. وَلَا أَتِيلُهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مَكَابِدَةِ جُهْدِي. فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

مَنِي قَهْرًا . أَحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ رُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جَنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصِيرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إَصْبِرْ عَلَى صِرَ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مَنِي وَصَالَا
 وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمَتَّ إِذَا شِئْتَ تَحِيًّا وَأَسْتَجِزْ أَلَا جَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمْنَى فَقَدْ ضَرَبْتَ مِثَالَا
 فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَلَا لَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْعَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمَعِ غَزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
 رُمِيتُ مِنْكَ بَيْنِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 بَأْيِي . وَفِي الْإِيجَادِ سَبْيِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بَحْرِي قِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
 شَقِيْقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيْقِي . فَيَنَامُ نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِسَانِ .
 إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا يَمِينُ الدَّارِ . وَشَطَطُ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارِ .
 فَأَفْرَدْتُ عَنْهُ وَأَفْرَدَعَنِي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَانَ مَنِي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَى النَّارِ .
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَيْدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَرِقُ .
 وَأَهْلُ الدَّرْفَةِ يَسْتَضِيْئُونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ .

وَدَمَعَ هَرَّاقٍ . قَامَ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَحْمَلُ ضَرَرِي وَضَيْرِي .
 وَأَحْرِقْ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمْتِعٌ
 بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامُ عَلَى أَصْفَرَايَ . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنْ أَهْرَاشٍ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذَا هَبَ أَضْوَاءِي . فَأَحْرِقُهُ
 مَكْفَاةً لِفِعْلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلِئْتُ الْأَرْضُ
 فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلِئْتُ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزٌ لِمَنْ
 تَمَنَّاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورُ أَيُّ نُورٍ
 فَهْدَايَ وَضَلَالِي بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
 لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَدْمِينِي بِزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمُّ أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعَتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ تَمِيتُ صَوْتَ غُرَابٍ . يَتَعَقُّ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيُؤْوِجُ نُوْحَ الْمُصَابِ .
 وَيُؤْوِجُ مَا يَجِدُهُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ جَلْبَابُ .
 وَرَضِي مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الثِّيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
 كَذَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتَ مَا كَانَ حُلُوءًا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَلَدِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَهِدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَرْتَ بِدُرُوسِ
عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْحَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشْأَمُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْآلِيْبِ
الْحَادِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَادِرٍ . فَتَادَانِي بِلِسَانِ زَجَرِهِ الْقَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَنَحَكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَصِيحِ . وَقَدْ
تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّصْرِيحِ .
كَأَنَّ الْمَوَاعِظَ فِي أُذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّجَسِ .
أَمَّا تَذَكُّرُ رَحِيْلِكَ مِنْ هَذَا الْقَفِيحِ الْقَصِيحِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيْقِ
الضَّرِيحِ . أَمَّا بَلْعَاكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
وَيَصِيحُ . أَمَّا تَعْتَبِرُ نُوْحٌ نُوْحٌ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَوْحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَّا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَّا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحِ . أَمَّا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيُّ
شَمَلٍ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍّ لَمْ يَتَرَزَّ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
يَقْطَعُهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَذْيِيرٍ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يَغْفِرْ
تَذْيِيرُ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ مَا
زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُو الْعُرَى الطُّوِيلِ . أَيْنَ
ذَوُو الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو الْوُجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَّا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ حِيلًا
بَعْدَ جِيلٍ . أَمَّا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
أَمَّا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَلُوْمُنِي عَلَى
نَوَاحِي . وَتَسْتَشِيرُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَائِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّهَا

اللَّاحِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تُسَخِّتْ بِوَسَاحِي . وَوَأَقَمْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِي بِالنَّوَاحِ . مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي . لَكِنَّ أَلْمَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحُجْبَكَ عَجْبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِخَرَابِ الْمَنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكَلَ . غُصَّةَ الْمَاكِيلِ . وَأَبْشُرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الْمَرَاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مِنْ صَدَقِكَ . وَمَنْ عَذْلَكَ . لَا مِنْ
 عَذْرِكَ . وَمَنْ بَصْرَكَ . لَا مِنْ نَصْرَكَ . وَمَنْ وَعْظَكَ . فَقَدْ أَيْقَظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَّرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَّرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنُوحُ عَلَى ذَهَابِ الْعَمْرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنُوحَ وَأَنْ أَنَادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَذَابَهُمْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعَيِّنُنِي الْجَهْلُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثَوَابَ الْجَدَادِ
 قُلْتُ لَهُ أَتَعْظُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِنَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثَوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرِنِي إِذَا عَايَنْتُ رَنْبًا أَنَادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنُوحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سَوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُقَسَّتِ لِلْسَّوَادِ
 تَقِظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمُ إِشَارَةً مَا تُشِيرُ بِهِ الْغَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْقَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاجٍ فِيهَا وَغَادٍ يُنَادِي مِنْ دُونِ أَوْ يَمَادِي

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أَنَادِي

إشارة الهدهد

١٣٨ - (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَذَّرَنِي مَقَتِي .
 إِنَصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ . الْمُنَاسِفُ عَلَى قَوَاتِ الْحَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَفَتِ الضَّمَارُ . لَنَفَذَتِ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَارُ . وَلَوْ طَابَتِ الْحَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرَحَتِ السَّرَايِرُ .
 لَظَهَرَتِ الْبَشَارُ . وَلَوْ أَنْشَرَحَتِ الصُّدُورُ . لَظَهَرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرَتِ الْقُلُوبُ . لَظَهَرَتِ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبُ . وَلَوْ خَلَعَتِ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غَبَتْ عَنْ عَالَمِ الْعَيْبِ . لَشَهِدَتْ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَّا أَنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتْبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَهِي . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ أَرْزُلَهُ لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مُسْتَجُونٌ فِي سِجْنِ طَبِيعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَالُوفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاقِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِخَيَالِ جِسْمِكَ . قَدْ
 أَرْمَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزَمِكَ وَأَحْرَقْتَكَ حَرَارَةَ حِرْصِكَ . وَأَثَقَلْتَكَ ثِقْمَةً
 بِطَرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُقُوبَةَ دُعُوتِكَ . وَرَسَمْتَكَ وَسَاوِسَ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهَمَّةِ . مُقَعَّدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْقِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْخَيْرَةِ. قَدْ أُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ قَبِيحًا. وَالْقَبِيحَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهَذْهَدِ حِينَ حَسَنْتَ سِيرَتَهُ. وَصَفْتَ سِرِّيَّتَهُ. كَيْفَ
 نَفَذْتَ بَصِيرَتَهُ. فَتَرَاهُ يَشَاهِدُ بِالنَّظَرِ. مَا تُحِبُّهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْغَجَّاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ. وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صَغِيرِ الْجَفَانِ. مَا لَمْ يُوْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نَصِيحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِرْ سِرِّيَّتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَأَدَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدُّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينَ الدُّبَابِ. وَنَبِيحِ
 الْكَلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَلَمْعُ السَّرَابِ. وَضِيَاءُ الضُّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَتِمَّا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخُطَابِ. مُنْصَتٌ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ. يُلْقِطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ.
 هَذَا: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. يَا مُتَحَبِّبًا عَنِ الْمُسْتَبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسْتَبَلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ. تَأَدَّبُ بِأَدَابِي. فَإِنْ فَعَلَ الْجَمِيلُ دَائِي.
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَهِيرًا. لَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاغِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتَقِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرُدُ فَأَعُودُ . وَأُضْرَبُ
وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظُ لَوْدٍ بَاقٍ عَلَى الْعُهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودَ . وَأَصُومُ وَالْخِوَانُ مَمْدُودَ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودَ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودَ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْهُودَ . وَلَا مَقَامٌ تَحْمُودَ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرَتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبْرَتُ . لَا أَرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيَا . وَلَا عَلَى مَافَاتِ
بَاكِيَا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لَيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِيَنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُخْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وُجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَهْوَمُ حَوْلَ
جَمَاهِمُ . وَأُدْوِمُ عَلَى وَفَاهِمُ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَايِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطُلُوعِ دُونِ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَافِي فَمَسِّكْ بِأَذْيَالِي . وَتَمَلَّقْ بِحِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعْلَمُ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسِّكُ إِلَى الْعُلَى بِحِبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدَرٌ وَلَكِنْ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْعَالِ
أَحْفَظُ أَجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي	أَنْ أَحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَبُسْرٍ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتُ أَلْيَامُ مَرِّ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَهْمُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي	وَفِرَارًا مِنْ مَرْدَلِ السُّؤَالِ

فَخَالَيَ عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْشَنُ كُلَّ خِلَالٍ

إشارة للجمال

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
كُنْتُ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْكَلْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمْتُ مِنِّي جَلَدًا وَصَبْرًا.
فَإِنْ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَا أَنَا أَجْمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ. وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلَ
الطُّوَالَ. وَأَكْبَادُ الْأَهْوَالِ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النِّكَالِ. وَلَا يَعْتَرِينِي
فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةِ الْأَرْدَالِ. بَلْ أَنَقَادُ لَطْفِ الصَّغِيرِ.
وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَصْعَبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الذَّلُولُ. الَّذِي
لِلْأَثْقَالِ حُمُولٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَاشِئِ وَلَا بِالْمَلُولِ. وَلَا
بِالصَّائِلِ عَنِ الْمَصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
مَا تَعَجَّرُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ. وَأَصَابِرُ فِي ظُلُمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
أَحُولُ. فَإِذَا أَقْضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَلَغْتُ مَآرِبِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
غَارِبِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَكْتَسَبْتُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي.
وَمَدَدْتُ عُنِّي لِبُلُوغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَلْتُ فَلَدَّلِيلُ هَادِي. وَإِنْ
زَلَلْتُ أَخَذْتُ بِيَدِي مِنَ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي. فَأَنَا السَّخَرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَقَامِ

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُبُلَ الْمَأْثَرِ . تَعَلَّمَ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصَدَّقَ الطَّلَبَ . لِبُلُوغِ الْأَرَبِ . هَآءَا أَنَا أَجْمَلُ
 مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَأَجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقْ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَفْتَحِمُ أَفْتَحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ فِي طَلَبِهِ .
 وَبَلَغَ فِي أَرْبِهِ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِيهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُجَبَّةً . فَلَا يَذُرْكُ مِنِّي إِلَّا الْغَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُ عَنِّي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْحَجْرَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ . فَأَنَا الْمُجْتَهِدُ السَّابِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْمَلَقَا . وَأَوَانَ الْمُتَلَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِيهِ . وَسَبَقْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لِثِقَلِ أَحْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِنَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ ثُمَّ حُفُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ شَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَصَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكِرَهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
 عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمَرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمَقْصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْخُدُودَ . وَأَوَثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْقُودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
 الْحُدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَآءَا أَنَا لَمَّا أَوْتُقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشَكَا لِي . كَيْلَا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخِذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلَا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَلْجَمْتُ
 بِلُجَايِي . لَيْلًا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَامِي . خَشْيَةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلَا أَكِيلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَإِنَّا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودُ بِوَأَصِيٍّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأَلْهَمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا يَرِيحُ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَرْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَعْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبْدَيْتُ عَجْزًا .
 فَكَمْ كُسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَنْتُ أَهْلَ التَّفَاقِ خِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فَاقَ فَهَلْ تُحْسِئُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكَزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْحِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْأَعْمَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَزِّ: تَاللَّهِ لَيْسَتْ أَتَقْوِيَّةٌ بِالصُّورِ وَأَلْهِيَ كُلِّ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكَلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . يَبْذُلُ
 الْإِيثَارُ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلُهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أَوْخِذْ فِي الْبِدَايَةِ بَزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرًا . فَإِذَا نَمَتْ
 أَيَّامُ حِمْلِي . وَادْبَتِ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ سَمْلِي . أَنْفَصَلَ عَنِ ذَلِكَ الْحِمْلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ وَصَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالْثَرِيَّةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخَالِطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أُطْعَمُ إِلَّا غَدَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَشْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِمَا مَوْدُ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَتَبَدَّرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَلْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَغْزُرُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسْأَلُ مِنْ لُعَايِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَأْسَ . تَرِينِ
 الْأَلَايسِ . فَأَلْمَلُوكُ تَفْتَحِرُ بِخَزْيِي . وَالسَّلَاطِينُ تَتَنَاقَسُ فِي أَرْضِيَةِ
 قَرِي . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْنِي وَالنُّسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالُغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ اعْتَدَيْ عَلَى ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِرُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيَحْكُ أَنْتِ نَسِجُكَ شَبَكَةُ الذِّبَابِ . وَتَجْمَعُ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا تَسْجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بِضَعْفِكَ
الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النَّجْمِ إِذَا أَقْلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَلِي
مَبْنُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَشْنُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَهُ . وَلَا لِأُمٍّ عَلَيَّ حَنَةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٍ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَبَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
الْثَغْوَاتِ الْخَفَايَا . فَأَلْقِي لِمَا بِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنْ الْخُطْطَةِ وَأَقْلَتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدُ مِنْ طَاقَاتِ غَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَاتَّعَقُ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . ثُمَّ سَكَّةَ رِجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَيْرُ تِلْكَ الْحَالَةَ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا حَالَةَ . فَتَمُرُّ الذُّبَابَةُ فَأَخْطِفُهَا بِمَحَابِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغَدَارَةُ . الَّتِي يُخْرِفُهَا غَرَارَةُ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةُ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلَهُوَ لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولُ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مَحْضُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَضُولٌ . فَيَا وَجْهِ مَحْرُومٍ حُرِّمَ السُّوْلُ :

أَيُّهَا الْعُجْبُ فُخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا يَنْتُ مَثْوَاكِ فَمُوتِي

إشارة النملة

١٤٤ قَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَارَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرَمِي فَمَنْ لَهُ . وَتَعْلَمُ مِنِّي قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَأَنْظُرِي إِلَى غُرَّةِ عَزَمِي . وَصِحَّةِ حَزَمِي . وَتَأَمَّلِي كَيْفَ شَدَّتْ يَدَا الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلُ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلَّمْتُ بِجَمْعِ الْمُؤْنَةِ . بِتَسِيرِ الْمُؤْنَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْقَرَايِخِ . مَا لَا يُذِرُكَ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَذِيرُ مَا أَذْخَرُهُ مِنَ الْحَبِّ لِهَوِي . فِي بُيُوتِي . قَلِيلُهُنِي قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةُ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْزُورَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلَقِي فَإِنَّهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةُ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَخَفَّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَقْصَا . وَأَنْتَهُمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحَرَصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَقَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَنِّدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِلُ خَيْرَهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ الْأَشْرَاكِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَقَارَةٍ فَلَا تُجِدُ رُجُوعًا . تَحْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَاهَا ذَابَةٌ . فَتَلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيَهُنَّ . فَيَقْسِمُهُ بِالسَّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٍّ مَنُوعٍ .

إشارة العنقا.

١٤٥ (قَالَ السَّيِّحُ) : لَكُمْ الْبَشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فَهِمْتُمْ رَمَزَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْمَعُ الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي ظِلِّهِ . وَنَسْتَسْكِنُ سَبَبِهِ . وَنَعِشَ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا أَنْ يَجْزِئَنَا الْبَحْرُ مِلْكَ يُقَالُ لَهُ عُنْقَاهُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ . وَبَحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَنَهْرَانِ مُخْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . قُدُونُ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقِمْنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ . فَإِنَّ الْهَيْجَرَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكُ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ . فَطَارُوا بِأَجْنِحَةٍ . وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى ظُلْمِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلَكَنَ سَبِيلًا عَدَلًا . إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَتَحَاقٍ . وَتَلَاقٍ وَاحْتِرَاقٍ . وَتَعَاقٍ وَاسْتِعْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَافْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفُ نُحُولُهُ. وَتَرَايِدُ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خَمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا.
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا نُرِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
وَصَبَرْنَا عَلَى ظِلْمِ الْهَوَاجِرِ. ثُمَّ لَا نَسْتَعِلُّ بِالْمَلَأْسِ وَالْمُفَاجِرِ. فَوَا الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا نُرِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَبِحُكْمِ لَأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِبِلَّةِ الْعَبِيدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: أَرِجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَإِنَّا الْمَلِكُ سِتْنَمُ أَوْ أَيْتَمُ.
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِي عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضَّعْفَاءُ. فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
تَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا. وَنَحِلَ عَرَانَا. وَأَصْحَلُ وَجُودُنَا بِمَا أَعْتَرَانَا.
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ أَفْتِقَادُكُمْ. وَبَيَّتَ انْكَسَارُكُمْ.
فَعَلِيَ انْجِبَارُكُمْ. انْظَلِقُوا فِدَاؤُوا الْعَلِيلَ. فِي ظِلِّي الظَّلِيلِ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ. فَحُصِّلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ:

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعْتَ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَّا تَرَى تَفْخَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَمِيَتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقُ الْفَرْبِ قَدْ لَمِعَتْ
فَعِشْ هُنَا بِوَصْلِ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ نَحِبُ وَحُجْبِ الْعَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حَيِّهِ أَنْصَدَعَتْ

اللبّ السّاج في الذّكاء والآدب

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَلِيظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعَرِّبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبُعْدِ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَعْرِفَةُ الْقَرَضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَصْلَحَةِ
وَالْمُفْسَدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرِّحَالُ وَحَوْلُهُ يَتَكَبَّرُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى أَثَرُهُ عَلَى مَرَمَرِ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَلْفَقَهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عَصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيَلْبِسُهُ
الْعَنَى وَيُلْبِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَأَلْكَأَمُ قَالَ: عِمَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرُّحْمَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكَبِيرٌ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْخَالِصُ
وَالْمَشُوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِيزُ وَالسُّتُوقُ وَيَنْظَرُ بِهِ الصَّمَوُ وَالْكَدَرُ
وَسَلَّمَ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصِلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَآدِلَةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَحْصِيلِ وَإِذْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

لَا ظَهَرَ الْغَامِضُ الْمُسْتَهْ. وَأَدَاةُ لِكَشْفِ الْحَقِّ الْمَلْتَبَسِ. وَبِهِ تُعْرَفُ
 رُبُوبِيَّةُ الرَّبِّ وَحُجَّةُ الرُّسُلِ. وَيُحْتَرَزُ بِهِ مِنْ شُبُهَاتِ الْمَقَالَاتِ. وَفَسَادِ
 التَّأْوِيلَاتِ. وَبِهِ تُدْفَعُ مُضِلَّاتُ الْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ. وَتُبْطَلُ تَأْوِيلَاتُ
 الْأَدْيَانِ وَالْمَلَلِ. وَيُنْزَعُ عَنْ غِبَاوَةِ التَّقْلِيدِ وَعَمَةِ التَّرِيدِ. قِيلَ :
 فَالْفَلَسَفَةُ. قَالَ : أَدَاةُ الضَّمَايِرِ وَآلَةُ الْخَوَاطِرِ. وَتَنَاجِيُ الْعُقُلِ وَأَدَلَّةُ
 لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْعُنَاصِرِ. وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ. وَعِلْمُ
 الْأَشْخَاصِ وَالصُّوَرِ. وَاخْتِلَافِ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْفَرَائِزِ.
 قِيلَ : فَالْجُومُ. قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرِ الْأَظْلَةِ. وَسُمُوتِ الْبُلْدَانِ.
 وَإِقْدَامِ الزَّوَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ. وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
 الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. وَأَمَارَاتِ النُّيُوثِ وَالْأَمْطَارِ. وَأَوْقَاتِ سَلَامَةِ
 الزَّرْعِ وَالْثَمَارِ. قِيلَ : فَالطَّبُّ. قَالَ : سَائِسُ الْأَبْدَانِ. وَالْمُنَبِّهُ عَلَى
 طِبَائِعِ الْحَيَوَانِ. وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الصِّحَّةِ. وَمَرَمَةُ الْعِلَّةِ. وَالْوُقُوفُ عَلَى
 الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ. وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ. وَعِلْمُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
 وَالْعَامُّ. وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ. وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ.
 وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ. قِيلَ : فَالنَّحْوُ. قَالَ : يَبْسُطُ مِنَ الْعَمِي
 اللَّسَانِ. وَيُجْرِي مِنَ الْحَصْرِ الْبَيَانَ. وَبِهِ يُسَلَّمُ مِنْ هُجَّةِ اللَّحْنِ وَتَحْرِيفِ
 الْقَوْلِ. وَهُوَ آلَةُ لِصَوَابِ الْمُنْطِقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الْعَرَبِ. قِيلَ :
 فَالْحِسَابُ. قَالَ : عِلْمٌ طَبِيعِيٌّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ. وَأَضْطَرَّارِيٌّ لَا مَطْعَنَ
 فِيهِ. نَائِتٌ الدَّلَالَةُ صَائِبٌ الْمَقَالَةُ. وَاضِعٌ الْبُرْهَانُ شَدِيدُ الْبَيَانِ.

سَأَلُ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالَ مِنْ الْمَعَارِضَةِ . حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ . مُوَدِّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ . وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ . وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ . وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِّجَارِ . وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ . قِيلَ :
 قَالَعَرُوضُ . قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ . وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
 أَلْفِهِمْ . وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ . وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ .
 قِيلَ : فَالْحُطُّ . قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّغِيرِ . وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْحَبْرِ . وَحَافِظُ الْأَثَرِ . وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْذَنْبَا . وَلِهَاجُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . فَمَهَذَا
 آخِرُ مَا حَكِيَ عَنْ الْجَلَّاحِظِ فِي مَدْحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَجَمْعٍ .
 وَأَنْقَدْتُ شَطْرًا مِنْ الْعُمَرَاءِ فِي الْحِفْظِ مِنْهُ وَالسَّمْعِ . فَأَلْقَيْتُهُ بِحَرِّ الْأَيُوقَفِ
 عَلَى سَاحِلِهِ . وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِخْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ . فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكَثَّرُ قَوَائِدُهُ . وَتَشَعَّبَ مَقَاصِدُهُ . وَلَمْ أَكُنْ مِنْ
 أَخْذِ التَّقْلِيدِ . وَالتَّسْلِيمِ . فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ . إِذَا
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ . فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ . فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيَمَتْ فِيهِ بَابِلُ . وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عَبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ التَّمِيمِيِّ . وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَامُ وَمَنَاتُهُ .
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَاسْتَحْسِنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْيَارُهُمْ

غَرَابَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقُدَمَاءِ وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ . وَأَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ . وَصَقِلَ أَلْبَابُ وَأَذْهَانُ .
 قَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمْشِ فِيهِ عَلَى آثَرٍ . فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
 عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ . الَّذِي يَرَّزُ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشُّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ . وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ . فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ . وَرَاضَ فِي كُفْرِهِ بِرَاضِهِ . أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ
 الْكَلَامِ . وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامُ . فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ . وَتَعَلَّمَ فَتَوَقَّ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ . وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبِكِ الْأَلْفَظِ عَلَى الْمَعْنَى . وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى . وَلَقَدْ
 حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . قَيْنَا يَكُونُ فِي شَطَفٍ نَجْدٍ
 حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرِيفِ الْعِرَاقِ . وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ . وَالشَّاعِرُ الْبُحْتَرِيُّ . وَلَعَنَرِي إِنَّهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ . وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةٍ عَلَيْهِ . فَإِنَّ أَبَا
 عِبَادَةَ آتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصُّخْرَةِ الصَّمَاءِ . فِي الْأَلْفَظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ . فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ بُعْدَ الْمَرَامِ . مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ آتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطٍ الْعَالِيَةِ . وَرَقِيَ فِي
 دِيَابِجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَهَضَمَتْ عَنْهُ خُطَاهُ . وَلَمْ يُعْطِهِ الشُّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ . وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ . وَأَخْصَصَ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ . وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَمِّمًا . وَلَا مِنْهُ مُتَلَمِّمًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نَصَالِهَا . وَاتِّجَعَ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا . حَتَّى نَظُنُّ الْقَرِيبَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا . وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا .
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضِلُّ بِسَالِكِهِ . وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُبْتَاسِطِ .
فَإِمَّا مُفْرِطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفْرِطٌ . وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقِ صَادِرِهَا
عُذْرِهِ . فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ . وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّرَاءِ . وَهَمَّا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ . وَلَقَدْ
صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ آيَاتِ يَمْدَحِهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ . إِنَّ الْكِرَامَ بَأْتِخَاهُمْ يَدَا خُتْمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ . قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجْمَدَ الصِّمْمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَيَّنَّ الْمَعْدِلَةَ الْبَعِيدَةَ عَنِ الْهَوَى . وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى . وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً . خَمْسُ
مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا . وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ . وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ . وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ .
وَخَمْسُ فِي الْغَايَةِ الْمُتَقَهِّقَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا . وَعَدَمُهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا .
وَلَوْلَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ فَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

الَمَلَامُ . وَجَعَلَتْ عِرْضَهُ شَارِدَةً لِسَهَامِ الْأَقْوَامِ . وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ . فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا . وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ
شِعْرُهُ عَلَى النَّحْكَ إِلَّا وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ عَلَى نَظَرِي . فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِغْرَاجًا مِنْهَا لِلطَّيِّفِ
الْأَعْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ . وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَافِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا . فَأَخَّرْتُ دَوَائِبَهُمْ لِاسْتِمَالِهَا
عَلَى تَحَاسِينِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ . وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَتَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِلْغُيُوبِ . بِسَرَائِرِ
الْقُلُوبِ . عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ . بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ . مُتَبَايِنَاتِ
الْأُصُورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ . لِقَاحِهَا التَّفَكِيرُ وَنَتَاجُهَا التَّذْيِيرُ . تَخْرُسُ
مُنْفَرِدَاتٍ . وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ . بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنِ تَحْدُودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ . خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ . قَطَعَهُ لِيَتَعَلَّقَ الْإِدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْشَرَعَتْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيُخْتَسِ الْإِدَادُ
عَلَيْهِ . فَهَذَا لَكَ اسْتِمْدَ الْقَلَمِ بِشَقِّهِ وَنَثَرِ فِي الْقُرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَسْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الأسنان ولفظته الشفاه ووعته
الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء. قال الجبيري:
طعان بأطراف القوافي كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر
١٤٩ قال بعض الكتاب يصف بحبرة:

ولقد مضيت إلى الحديث آيها وإذا بحضرتي ظباء رجع
وإذا ظباء الإنس تكتب كل ما يلى وتحفظ ما يقول وتسمع
يتجاذبون الجبر من ملومة بيضاء تحملها علاتق أربع
من خالص البلور غير لونها فكانها سيج يلوح ويلم
إن نكسوها لم تسيل ومليكما فيما حوته عاجلا لا يطمع
ومتى أمالوها لرشف رضايا أداها فوها وهي لا تمنع
وكانها قلبي يزن يسره أبدا ويكنم كل ما يستودع

وصف الخط

١٥٠ سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة.
قال: إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولأمه واستقامت سطورهُ:
وضاهى صعوده حذوره وتفتحت عيونه ولم تشبه راؤه ونونه.
وأشرق قرطاسه وأظلمت أنفاسه ولم تختلف أجناسه وأسرع إلى
العيون تصوره وإلى العقول ثمره وقدرت فصوله وأنشدت
أصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج من نمط الوراقين وبعد عن
تصنع المحبرين وقام لصاحبه مقام النسبة والخلية (للقيرواني)

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَدُرُومَ حُسْنِ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّسِيرِ
أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقَفٍّ صُلْبَ يَصُوغُ صَيَاغَةَ التَّخْيِيرِ
وَإِذَا عَمِدْتَ لِرَبِّهِ قَسْوَحَهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظِرْ إِلَى طَرْفِهِ فَأَجْعَلْ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَأَجْعَلْ لِحَافِهِ قَوَامًا عَادِلًا يُخَالُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتَيْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمِرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطْعِ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطْعُ فِيهِ جَمَلُهُ التَّدْيِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جَمَلَهُ مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَحْرِيفٍ إِلَى تَذْوِيرِ
وَأَلْقِ دَوَاتِكَ بِالْخَانِ مُدْبِرًا بِالْحَلِّ أَوْ بِالْجِزْمِ الْمَعْصُورِ
وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُغَرَّةً قَدْ صُولَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَرَجْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
فَاكْنِصْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كِي يَتَأَى عَنِ التَّشْيِيتِ وَالتَّنْفِيرِ
ثُمَّ أَجْعَلِ التَّشِيلَ دَأْبَكَ صَابِرًا مَا أَذْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلَ صُبُورِ
إِبْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ عَزْمًا تَجَرَّدَهُ عَنِ الشَّيْرِ
لَا تَحْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ لِحُطَّةِ فِي أَوَّلِ التَّشِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

فَلَا مَرِيضٌ ثُمَّ يَرْجِعُ هِنًا . وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ مَا أَمَلَتْهُ أَصْحَبْتَ رَبَّ مَسْرَةً وَجُورٍ
 فَاشْكُرْ لَهُمْ وَأَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يَجِبُ كُلَّ شَاكُورٍ
 وَارْتَبِ لِكَفِّكَ أَنْ تَحُطَّ بِنَانِهَا خَيْرًا تَحْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَمَجِّعُ فِعْلٍ الْمَرْءُ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ الْقِتَاءِ كِتَابِهِ الْمُنْشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَّةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدْرَسٍ أَنَّهُ :

أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطِي بِجَدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِن حَسَنٍ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَنْتُمْ وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مَكْفَاةً عَلَى مَنِّي أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَهْدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكِرَةً وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعٌ سَدَادُكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ اللَّيَالِي عَلَى أَحْدَانِهَا وَزُرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِيدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مُلَاحَظَةٍ فَمَا بَرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ تَبَعُهُ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صُلْبٌ عَلَى التَّجَمُّعِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُنْزَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ تَخَيُّرَاتٍ عَنْ تَجَابِتِهِ كَالنَّارِ تَخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرُّ
 مِنْ مَعْشَرٍ حَلَّتِ الْعُلْيَاءُ بَيْنَهُمْ يَعُدُّ شُكْرَهُمْ فَخْرًا إِذَا شَكَرُوا

١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَاجْعَلِ

الْخَيْرَ دَابَّهُمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلْظَةِ
 جَنَابِكَ . وَأَكْتَمَ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفِضَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَيْبَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الضَّرَائِرِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِحْقَافِ الْجَرَائِرِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحَسَنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْشَارَ مِنْ أُولَى الْمُرَاتِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ مُجَاسَّةَ الْمُلُوكِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينَ . جَاهَدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرَضَهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ نَدًيًا . لِيُثَرِّبَهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلِهِمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضَّهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَأَحَذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فِيهِ
 دَاوُهُمْ . وَأَعَدَّ أَوَّلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعَدَّ أَوَّلَهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخَلْقَ الذَّمِيمَةَ كُلَّ
 مَا نَجَحَتْ وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعِيفُهَا .
 إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمَتْهَا أَعْدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمَتْهَا الْحَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ امْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عِبْدَانِكَ . وَاسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَايَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 أَجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحَبَةِ وَالْمُهَةِ

(المقري)

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَتَا
أَقْتُلُ بِأَغْرَرٍ . وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ : أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا
فَالِى السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

السَّيْفُ أَعْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَيِّ وَاللَّيِّ
يُضِرُّ الصَّفَاحَ لَا سُودَ الصُّحُوفِ فِي مُتَوَيْنِ جَلَاءِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَهَبِيُّ :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلِي أَلْجَدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَلْجَدُ لِلْقَلَمِ
اَلْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخَوْفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
مِثَانُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحَدُّ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرِنِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَأَلْمِ رَهْفِ الْقَاصِبِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشِدَنِي ظَلْحَةُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ سُخْتًا مَرْهَفًا
مُقَابِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّلًا وَمَوْصِلًا وَمُسْتَتًا وَمَوْلًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَلَاعَهَا قُلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
كَالْحَيَّةِ الرُّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْدَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يُرِي بِهِ قَلَمًا يُخْرِجُ لُغَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُتَقَفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَضْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ يَنِيكَ بِإِعْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يَذْرِي عَلَى قِرْطَابِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذْرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
كَالْبَجْرِ إِذَا يَجْرِي وَكَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَكَالْصَّارِمِ إِذَا يَفْرِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهَيْفُ مُشَوِّقٌ يُخْرِيكُهُ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مَرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِبْقَةِ الْكَرْسُفِ رِيَانُ
تَرَى بَسِطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُثْمَانُ
كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
في تهديد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
فقط منفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المونة . وكذلك
في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تهديدها .
فتكون للسيف مزية في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
فيسكن صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تهدد أمره ولم
يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة
الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المميز له في ذلك فتعظم الحاجة
إلى تصريفه وتكون السيوف مهمة في مضاجع عودها . إلا إذا نابت
نائبته أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
خطواته نجياً . لأنه حينئذ آتية التي يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
والنظر في أعطافه وتنفيذ أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
حينئذ وأهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
على أنفسهم من بؤاديه . وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْهُدُومِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ يَمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الْأَرَوِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَالُ لَهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
يَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتٌ أَنْ السُّيُوفُ لَهَا مَذْ أَرَهَقَتْ خَدَمُ
١٥٨ قَالَ حَبِيبٌ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَانِهِ تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْكُلِّيِّ وَالْمُقَاصِلُ
لَهُ الْجَلَوَاتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا تَجِيُّهَا لَمَّا أَحْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُحَافِلُ
لَعَابُ الْأَفَاعِي أَلْقَاتِلاتِ لَعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشَارَتُهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَهُ دَيْمَةٌ طُلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنْ أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْحُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْحِيَامِ الْمُحَافِلُ
إِذَا اسْتَبْدَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْحِنْصَرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ
١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِي :

إِذَا أَفْتَحَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يَكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَتَبَ قَلَمُ الْكِتَابِ فَخْرًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَيِّ الْفَرْجِ مِنَ الدَّهَانِ

قَوْمُ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
تَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعَدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكِتَابِ

١٦٠ الْكِتَابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَرْكَانُهُ. وَعِيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ. وَبِهَاءُ
الدُّوَلِ وَنَظَامُهَا. وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا. مَلَائِسُهُمْ فَائِزَةٌ. وَمَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ. وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ. وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ. مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ. وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ. بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ. وَتَبْتَسِمُ
تُغُورُ الْمَعَاقِلُ. مَجَالِسُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ. وَبِنَدَاهُمْ أُنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ. يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ. وَيَزْهَوْنَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشُّيعِ وَالتَّوَشُّيعِ. هُمْ أَهْلُ الْبَرَاعَةِ وَاللَّسَنِ. وَشَيْئُهُمْ لَفٌ
الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ. يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ. وَلَا يَمْلَأُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاغِبِينَ فِي الْمُنْحِ. دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ.
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَالِي وَالْمُهَوِّفِ. يُجَلُّونَ الْكَبِيرَ. وَيُجَلُّونَ الصَّغِيرَ.
وَلَا يُجَلُّونَ بِمِرَاعَةِ النَّظِيرِ. لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّيَقَاتُ. وَبِالْجَمَلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبَتْ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسَتْ خَطَاكَ بِالسَّحْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَةِ الْبَحْرِ
 بِأَيْلِسِهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَخْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةٌ
 الْأَزَاهِرِ . لِنَّةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِيَةٌ .
 وَتَسْكُتُ وَهِيَ يَمَّا يُطْرَبُ السَّمْعُ مَتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدَتْ قُدُودَهَا .
 وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سُعُودَهَا . أَسَانَتْهَا مَرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُفَوَّقَةٌ .
 تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
 تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَوْرَادِهَا . وَتَتَرَحُّصُ الصُّدُورَ بِعَذُوبَةٍ إِيرَادِهَا . نَشَأَتْ
 عَلَى شُطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتِ الْأَعْنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
 الْأَنْيَابُ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تُدْهَشُ النَّاظِرَ وَتُحْجِلُ
 الْقَاعِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتِطَاءٍ غَيْرِ الْأَنَامِلِ . أَلْشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
 وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنَّضَارَةِ نَوَاطِرُ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
 بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ . وَإِنْ صَالَتْ
 رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتِرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرْسِ قَرَفَتُ إِلَى
 أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْأَنْصَبِ (لِكَمَلِ الدِّينِ الْحَافِي)

١٦١ إِعْتَمَدَانُ وَهَبَ بِقَلَمٍ صُلْبٍ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ:
 إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَاذُ يُضْمِرُ السَّامِعِينَ صَرِيرَهَا
 تَسَاقَطَ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَيْفَ الْإِلَهِ نَظْمَهَا وَتَثِيرَهَا
 تُقَوِّدُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورَهَا
 تَظَلُّ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ يَمَّا شَفْنَا وَتُخْضِي أُمُورَهَا

الْبَابُ الثَّاسِعُ فِي اللَّطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَفْحَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنشَدَهُ :

لَمَّا اتَّخَذْنَا بِالْوَزِيرِ رُكَّابَنَا مُسْتَعَصِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
بُتَّتْ رَحَا مُلْكِ الْإِمَامِ بِثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوُفُودَ طَلَاقَةً وَسَمَاحَةً وَالنَّاكِسِينَ مُهَنَّدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيَا مُرْعَا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَجَرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرْنَانَا أَوْ صَفْعَانَا وَخَلَصْنَا . فَصَحَّحَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَصَحَّحَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لَابِن الطِّقْطَقِي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبْدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُؤْسَ الْجُلُ أُنْبَانِي وَأَمَّا الْوَالِدُ النَّهْيُ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَضَحَّتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي الْمِلَمَاتِ الصِّعَابِ
كَسَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَأَوَى غَرَابٍ مَنَظِقِي بَعْدَ اغْتِرَابِ
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتُ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَجَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْفُلُوبِ حَيِّبُ
قَالَ آخِرُ فِي قِلَّةِ الْمُرُوءَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا لِمَا تَبْكِي أَلْقَاءُ
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاؤَا
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمُدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصْنَتَهُ فَهَا هُوَ مَخْتُومٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُتَكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَاكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَيُّهَا فَمَا تَرْجُو الْحَيَادُ لِحَافَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَاقُ الْأَصَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرُ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثُ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْحِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنَشِدْنِي مَرِئَتَكَ فِي مَعْنٍ بِنِ زَائِدَةٍ فَأَنشَدَهُ :

أَقْنَأَ بِالْيَمَةِ أَوْ لَسِينَا مُقَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَلَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى حَدِيثِهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْثِيَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٍ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُشِيكَ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ بِمَا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبَضَ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يَذْكُرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتَ مَكَاثِفًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَبُّودُ بِهِ سِجَالًا
 فَحَمَلْتَ الْعَطِيَّةَ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تَرُدِّ الْإِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بِذَلِكَ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ لِكُلِّ مَالٍ تَجَبُّودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمَا لِيُسْتَحْسَنُ مِنْ تَحْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : امْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُقَارِفْهُ حَتَّى يَصِلَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلِّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْعَجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الشَّيْدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِينًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَمُّ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّمَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَاهُ دَجَلَةٌ وَأَنْفَرَاتُ
فَقَالُوا يُقْبَلُ الْمَدْحَاتُ لَكِنْ جَوَارِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتْنِي الْهُمُومُ الشَّائِغَاتُ
فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشِطَّنِي الصَّلَاتُ
فَتَصْلُحَ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَصْلُحَ لِي عَلَى هَذَا أَلَمَاتُ
فَصَحَّكَ وَأَسْتَظَرَّهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (الشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَاكْتَسَتْ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَأَسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
وَأَنْبَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحِهِ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
فِي تَحْقِيقِ رَأْيَانِهِ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الانصاف)

معن بن زائدة والثلاث جواهر

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ قَعِطِشٌ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

عِلْمَانِهِ مَاءٌ • فَيَنْمُو هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتِ
ثَلَاثِ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أَمْثَالِ مَعَ عِلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِبَاتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةٍ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكَّبُ فِي السِّهَامِ نُصُولُ تَبْرِ وَيُرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلْيَرْضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْثَانُ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَتَحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَسْكَارُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صِيغَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارُبُ وَالنَّدَى
وَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنْ الذَّهَبِ الْأَبْرِيزِ صِيغَتْ نُصُولَهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْثَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

للحسين بن الضحاک عند التبرک

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقُ مَاتَ فَفُطِمَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطَبُ الْمُتَوَكِّلُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَكِّلِ لِرُزْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَيْئِكَ الْمَعْتَرِ أَوْ جِهَ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا ابْنَ الْخَلَاقِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُنَافِرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَنَا أَيُّمُ مُحْتَرِمِ الْقَوِينَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةً بِعَرَاصِهِ مُتَلَدِّينَا
 وَهَيَّرَ عَابِرِي خَلَا فِ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَا
 أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثِ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةُ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِينَا
 فَأَمَّنْ بِرِدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَا
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمِلُ أَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلِينَا
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْمَ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَدَهُ تَعَاقَبُ الْيَاسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

الباهلي والرشيدي

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٍّ مِنْ بَاهِلَةٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَالٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَبَّاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قَوْدِيهِ . وَأَرْخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيَّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَقَ فِي شِعْرِهِ :
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيَّ أَنْتَ مُسْتَحْسِنٌ وَلَمْ تُكْرَمْ مَتَمَّا . فَقُلْنَا
 بَيْنَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمُونَ أَيْنَهُ وَهَذَا
 خُفَّاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّسْنِي عَلَى الْوَعْدِ الْقَرْدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَذَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَافِي عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَادَنِي تَنَافُّ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْحِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ اعْتِدَارَكَ بَدَلًا مِنْ امْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتَ الْحِنَاقَ . وَسَهَلْتَ مِيدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَّ عَوْدَهَا
هَما طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْئَلُكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : أَهْنِيْدَةً . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خِلَعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

لَسْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرِّيَّ فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَقُوكَ نَفْسُ الْقَصِّ فَأَخْتِمْ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنَوَارَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَمْتَعُ سَمْعَ الْمَرْءِ وَالْبَصَرَ
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَارَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَانِهِ ثَمَرًا
لَسَابِقًا فَاصْبَابًا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ تَمَّزَ سَابِقُ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَيَرْكَ صُورَةَ فَيْرُكٍ يِي حَيٍّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَتَذَرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْوَصْلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْعَقُومُ مِنْ شَيْمِكَ فَأَمَّهْدُ لِعُذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرِّي كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْخُدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل وزيد بن يزيد

١٧٤ وَلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ بْنِ أَبِي قَاتَةَ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاهُ مَيُّونَةٌ وَالسَّعْدُ يَدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
 حَتَّى زَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالْأَسْوَالِ
 وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنْمَى شَرُّهُ وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَمَرَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الاعاني)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَاوِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَاحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَحُلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبُحَيْجُ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكُهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَكَّلَتْ
 بِالْأَلْيَةِ الْبَطْلُ لِجَيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرُتِبَ يَمُودٍ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبَلَ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عِشْدُ بَغِيرٍ وَسَطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَنَا مِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِسٍ بِالْمَهْدِيَةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدَرَمَى بِالشَّابِّ فَصَنَعَتْ فِيهِ بِدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ حُلِقَتْ كَفُّهُ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ التُّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بُعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمْنَى الْبَذَرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنَشَائِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَعَ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ لَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَاحْطُ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا
فَكَمْ أَرْتَجِيكَ فِي الْآتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلَهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرَبُ كِي يَزْدَادَ عَفْوُكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلَا
فَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالْفَضْلُ بَاطِلٌ لَمْ يَعْدِمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبِدَائِعِ لِلْأَزْدِيِّ)
١٧٨ وَشِي يَابْنَ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ حَقَاقَاهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

وَلَا عَرَوْا أَنْ تَعْفُوا وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يَمُودُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجُرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّائِدَعَاتِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَنِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ قَرَعْتَ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ إِلَّا زَهَارَ غَيْرِ الْكَمَامِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورٍ سَمِعْتُهُ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعَفْوَ فِي زِيٍّ ظَالِمٍ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَبَّ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ نَجْدٍ بِجَدِّهِ وَيَجِدُهُ
 أَتَاكَ تَجَلُّ خُرُوفٍ فَأَمَّنْ عَلَيْهِ بِجَدِّهِ

١٧٩ كَبَّ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الشَّرْعُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِقْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْبَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ يَمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاةٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونُ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحَجِيِّ لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ قَدْ قُلْتُ مُنْعَمَا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

١٨٢ كَبَّ ابْنُ هُذَيْلٍ الْقُرَارِيُّ لِلْعَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَارٍ إِذْ عَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوَى جَدَاذَا
غَيْرُ صَاحِبِكَ أَهْمَرْتُ كَتَبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ أَعْتَاءَ صَحَّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيَبِكَ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ

١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقَرِيَّةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالسَّيْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا قُوَّةُ الْأَرْضِ مُغَيَّرَ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَرُ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَلِيحُ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِ وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحُ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَوُحُّ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفَرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْقَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِرْسُكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَلْبُكَ مُسْتَرِيحُ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثُّمُنُ الرِّيحُ
١٨٥ لِأَمِيرِ أَبِي الْقَتْحِ بْنِ أَبِي الْقَتْحِ الْمَعَرِّيِّ فِي الْمَرْقِصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبَا عَرَّتْنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
لِشَطْرِ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلَنِي صَبِيَّةٌ قَدْ رَكَعَتْهُمُ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْهَرَاخِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جَنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِتَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْخَوَارِي فِي الْمُرْقُصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرَتْ عَنْكَ مَدَائِحِي لَا مَرِيضَى أُنِي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رُضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَأَلَ أَنْ أَهْدِي إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِرَبِّيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدَحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَيْنَاكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ

إِنْ تَسْلُبُونِي رِيشتَكُمْ وَتَقْلَبُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أَغْرُدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّجُلُ غَدَا لَا فَرْقَ اللَّهُ فِيمَا يَبْنَى أَبَدَا

يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجَفْوَنِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى النَّسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا

أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَعَلَنُ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا

مَا زَالَ يَنْظِمُ فِي الشِّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ الشِّعْرَ مُجْتَهِدَا

حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَقَاتَ سَبَقًا وَحَازَ الْفَضْلَ مُنْفَرِدَا

إِنْ قَصَرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا

لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُحْذَرُ سَاحَتُهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا

أَبَقَ لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا يَرِحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدَا فِي ظِلِّهِ جُدَا

أَلْبَابُ الْعَاشِرِ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَأَلْبَدَنٍ وَقُرَيْشٌ رُوحَهَا. وَفُرَيْشٌ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبْهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَصْنَحُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غُنْصَرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَدُوعُ الْعِلْمِ. وَتَهْلَانُ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحُسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُجَسِّدُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَجْمٍ لِلتَّحِيرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَمَلَأَهُ وَجُوهَ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعْيَتِكَ. تَقَدَّمَتْ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَتَيْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسَتْ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيمَا بَقِيَ فَلَا زُجُوهَ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُو لَكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذَابَ ثَوَابِكَ . وَحَسَلَتْ نَظْرَتُكَ . وَكَرُمَتْ مَقْدَرَتُكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَالْخَيْرُ بِفَنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنُّصْرُ مُنَوِّطٌ بِأَيَّامِكَ . وَالْحِذْلَانُ مَعَ الْوَيْةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَّطَ عَدُوُّكَ غَضَبَكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنُّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . أَلْذَهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالْأَوَاةُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لُحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ (لابن عبد ربه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لم أَرِ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 النِّجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَعْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَتَمَّلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَاجْتَمَعَ لِلْفَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَانْكَثَرَ تَقْصِيمُنَا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنُكَّتِ الْأَدَبُ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ النُّصْرِ . وَكَمَالَ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجِعَهُ . وَطَبَّ مَفْجِعَهُ . إِنْشَاءً فَاخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَحْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِرًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعَوِّزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بِدِيعُ .
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعُ . قَدْ نَعَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَمَا خَرَجَ مَقْبُولَ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاطِبُوا عَلَى تَقْهَمِ جَلِيلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَمَانًا

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُضِلَّةٍ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلاَ دَلِيلٍ ... (الطَّرِيزِ)

١٩٢ قَالَ الْبَرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى ضَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ حَرَّتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْآمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رَبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكَوْثَرُ الْفَيَاضُ فِي آلِ قَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحُلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
عَمَامٌ يَمُحُّ الْخَلْقَ ظِلًّا فَتَانًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوَّلُ مِنْكَ الْبِرُّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمُّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَا وَجَّهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ غَضَنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الدِّيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكَّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوِيَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَافَّةً . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَطَقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَنَا يَا السَّرُورُ فَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَقَّيْتُ فِيهِ بِالذُّدُورِ
لَمَّا اَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مِلَّتَيْهِ الْفُؤَا دِوَيْنِ مُكْتَتِبِ الضَّمِيرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْغَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقٍ بِالْأَمْعِ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ جَزَعًا لَعَمَ رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصَّبُورِ
يَوْمِي هُنَاكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ التَّوَكَّلْ أَلَا هَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَمَ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ الْحِلَالُ قَهْ وَهِيَ أَرْضِي مِنْ تَبِيرِ
قَدْ حَالَفَكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ التَّوَكَّلْ لِلْفَتْحِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ تَخْضِ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ . فَتَقَدَّمَ بِأَن يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْفَرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالْأَنْجَبِ
فَتَى يَزَارُ وَكَمَلَهَا وَأَخِي أَوْ جُودَ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كَتَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفَرِّجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يَلْزُ الْوَضِيعُ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْفُطْبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلَا حَطَبِ

لَيْتَ بِحَقِّكَ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزَيَا بِهِ فُهَمَا شِبَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَبِ
 قَدْ وَمَقَا شَكْلَهُ وَسِيرَتَهُ وَأَحْكَمَانَهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ أَلْفَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاوِيِ الْخُصُومِ لِلرُّكْبِ
 تَرَى لَهُ الْجِلْمَ وَالنُّهَى خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَا حِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامِينَ ذَاكَ وَذَا إِذَا قَلَّ بَذَةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُّ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَتْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنْ الزَّمَانُ بَرَى عِظَائِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْلِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخْلَصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعْنَرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَلَّةً
 (الاعاني)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَمْدَحُ آلَ فَرِيعُونَ :

بَنُو فَرِيعُونَ قَوْمٌ فِي وَجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودٍ وَعُلَا وَسَارَ النَّاسُ مِنْ طِينٍ وَصَلَّصَالِ
 مَنْ أَتَى مِنْهُمْ ثَقُلَ هَذَا أَجْلُهُمْ شَأْنًا وَأَسْمَحَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَهُمْ دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
 أَقَادَنِي الْمَلِكُ أَلَيْمُونَ طَارُهُ عِزًّا وَأَلْبَسَنِي سِرْبَالَ إِقْبَالَ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَمِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَهَا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ فَإِنَّ ذَاكَ لَيَجْزِي لَا لِإِعْقَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ:

أَبَا نَضْرٍ نَصِرْتُ عَلَى الْأَعَادِي وَصِرْتُ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
 بِرَأْيٍ يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ مَا وَعَظِمَ تُجْجِلُ السَّيْفَ الْحَسَامًا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ:

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَا لِهَمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عَقِلْتَ أَلْسِنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جِدُّ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ بِجُودِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْهَلَكِ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْمَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ فَنَادِ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْمَةَ يَسْمَعُ
 بَنِي فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْحَمْدِ مَنْزِلًا لَهُ فَوْقَ أَكْتَافِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَوْضِعُ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكَرْبَةِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَلْمَعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْغَيْثُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ يُثْقَلُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْمَانِهِ كُلُّ خَافٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَبَعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ تَرَاضِعًا وَلَهُ مَنَابِرٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجَبِّي الْحَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجَبِّي إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَجُورُ

٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلِ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَرْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضْنَا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي النَّوَائِبِ رُكْنَا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَقَّى فِعْلًا وَأَشْرَقَ جُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَمَحًا وَإِذَا مَا هَزَرْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَا هِ السَّمَاءُ أَخْصَبَ وَأَدْيِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَعْنَا
 نَزَعَتْ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَصْحَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا

٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ اعْتِذَارُهَا
 حُسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مَضَاوُهُ وَصَفْحُهُ صَفْحٌ لِلذُّنُوبِ اعْتِقَارُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجَنِّي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هَيْبِ الْحَرْبِ تُوقِدُ نَارُهَا
 أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ نَوَاصِرُ وَطَوْرًا سِوْفٌ دَامِيَاتُ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ عَسَّانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكَتَهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ الظُّلَمِ
 هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوَاءِ وَالنَّعَمِ
 أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنْ الْمَقَةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَنَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَائِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
 فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصُّوْلُ عَلَيْهِمِ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْأَلَةِ . قُوْهُهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَحَلَمَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاسَمْتَنَا هِبَاتُهُ فَتَرُّ الْعَطَا مِنْهُ وَنَظْمُ الشَّامِنَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُشِي لَهُ لَفْظًا فَيْشِي لَنَا مَعْنَى
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بَيْنَ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَأْتِمِقَانِ
 وَمَنْ قَامَ فِي الْمَقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتِ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
 لَمَّا خُطِّقَتْ كَفَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقِلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
 لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَحَسْرِ عَنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيْرَوَانِي :

جَاوِرٌ عَلِيًّا وَلَا تَخْضِلُ بِحَادِثَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَجِدُ مِنْ الْمَسَامِيحِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمَقَلِّ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْحَنَسَاءُ فِي أُخْيَاهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَيِّهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ التَّوَالِدِ بِيَزَادَةٍ مَنَحَ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمَّا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْفَخْرِ
 وَهَمَّا وَقَدْ بَرَزَا كَكُنْهُمَا صَفْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
 بَرَقَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلْوَانِهِ يَجْرِي
 أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَائِيَهُمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ عِمَامَةٌ عَلَى مُعْتَقِيهِ مَا تَبُّ قَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو ثِمَّةٍ لَا تُتْلَفُ الْخَيْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانِ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ التَّجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ تَحْزُو نَا وَكَبُّ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
حَمَلَتْ رِيحَ الصَّبَا أَنْفَاسَنَا سَحْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ
إِلَّا وَدَمُ الْعِدَى فَوْقَ الصَّعِيدِ جَرَى
لَيْثٌ يُلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وَافَقَ الْقَدْرَا
يَا حَامِيَا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
مِنْ فَارِسٍ لَا يَخَافُ الْبُؤْسَ وَالضَّرَرَا
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُدْرِكُنَا
وَمِنْ دِمَاهُمُ تَرَوِي الصَّارِمَ الذِّكْرَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دُلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قَرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلِ رَجُلَا
عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَى أَنَامِلُهُ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ
كَأَنْبِسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
بَيْنَ بَادِيَةٍ وَتَحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
وَلَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
وَمُدِيلَ الْيُسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحَرِهِ
وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
كَصِيَاحِ الْخَشْرِ فِي أَثَرِهِ
قُدْنُهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجِرِهِ
زُرْتُهُ وَالْخَيْلُ عَالِسَةٌ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عُثْرِهِ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلَقُرْقُورٌ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَّتِ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى الْخُتُومُ مِنْ قَارِهِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ سَخَسَهَا أَبُو دُلْفٍ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَأتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ):
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْإِغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَدْحِ:
 أَهْلُ بَانَ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُتَجَمَّى وَيُذَارَمِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَخُتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مِلْكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 وَتَحَنُّنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبُرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَجَرُ فِي خَجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَنْ تَنْضَعْتَ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
 لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشَهُمْ
 ٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :
 يَضَعُ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
 دُونَ الْعُقُولِ لَكَ أَنْ تَفْضَلَ لِلْأَسَدِ
 (ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
 تَعَلَّى كَوْكَبًا وَتَشْرُقُ شَمْسًا
 ٢١٨ قَالَ آخَرُ :
 وَرَبِّيعَ الْأَنَامِ كَفًّا وَمَعْنَى
 وَتَحَايَ لَيْثًا وَتَنْهَلُ مِرْنًا

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
 قَلَيْسَ تَرَحَّلْ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
 ٢١٩ قَالَ أَبُو الْقَرَجِ الْبَغَاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :
 قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
 كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ النِّعَامُ غَمَامُ
 وَعَزَمَكَ إِنْ فُلَّ الْحُسَامُ حُسَامُ
 ٢٢٠ قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبُسَيْتِيُّ فِي نَجْلِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :
 فَهَذَا يُنِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُتَمِّعُ
 وَذَلِكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامُ
 وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
 وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
 كَمَا جَمَعَ التَّفَاحُ شَكْلًا وَبَهْجَةً
 ٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لَهَيْعَةَ :
 وَجُودًا وَبَاسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
 وَرَاحِمَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
 قَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
 ٢٢٢ أَتَشَدُّ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ :
 إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
 فَهُمْ أَتَجَمُّ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهَا

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقَّ بِتَغْيِيرِ وَتَحْلِيدِ
تَبْلَى الْكِرَامُ وَأَثَارُ الْكِرَامِ وَمَا تَرَدَّدُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْخِ الْخَزَاعِيِّ :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةٌ الْعِشَاقُ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الشَّاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثِّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ تُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوْتَةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْعَجَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخِلَتْ وُجُوهُهُمْ أَقْمَارًا
لَا يَبْدُلُونَ بِرَفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَلَةِ بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارًا
وَإِذَا زِنَادُ الْحَرْبِ أَخَذَ نَارَهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارًا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ سُوءُاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَمْدُ الْمَجْدُ مُتَلِدًا وَلَا يُعَدُّ ثَنًا خِزْيٌ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطَفُونَ عَنْ الْقُحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ ثَقُلَ لَأَقَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ وَأَلَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ

٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :

أَنَا أَشَعْرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوَّنَهُ الْوَرَى بِالطَّعِ لَا يَكْلَفُ الْإِلْقَاءُ
كَالصَّوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوِبِ الْأَصْدَاءِ
٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَسَّائِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :

جَلَّتْ لَدَيَّ الرِّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هِمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءُ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شَيْئِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُخْرِقَةً لَكَانَ يَسْتَبْهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
فَلَا تَعُرْنَكَ أَطْصَارِي وَفَيْتُهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَطْنَنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ عَنْ صَغِيرٍ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ مُحْمُولٌ عَلَى الْبَصِيرِ

٢٢٩ قَالَ عَنَرُ يَتَهَدَّدُ هَوَازِنَ وَجْهِهِ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :
سَكَتُ فَعَرَّأْتَنِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
وَكَيْفَ أَنَا عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِيتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجِبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفٍ حَدَّهُ مَوْجُ الْمَنَآيَا وَرَمَحَ صَدْرُهُ الْخَنْفُ الْمَمِيتُ
خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

وَأَيُّ قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلًا
فَمَا لِلرَّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبُ
وَلِي بَيْتٌ عَلَا فَلَاكَ الثَّرِيَّا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرِي لَا يُعَادِي
وَأُظْهِرُ نَضْعَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِالْمَنَى قَلْبًا عَلِيلًا
تُعَيِّرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
وَحُضْتُ بِمُهْجَتِي بِحَرِّ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيِّفِي مُرْهَفُ الْحَدَّيْنِ مَاضٍ
وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُحْمِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُزَرَّرٍ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّتَ بُرْدًا
وَمَنَاقِبُ أَوْرَشَنْ مَجْدًا
بِقَةِ وَعَدَاءُ عُلْدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَفْدُ الْيَضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ تَمَرُّوا حَقًّا وَقَدًا
كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بَا أَسْتَعْدًا
نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَبَشِ بُدًا
هُمْ يَنْذَرُونَ دَمِي وَأَنَا نَذَرُ أَنْ لَقِيتُ بَأْسًا
كَمَنْ مِنْ أَخِي صَالِحٍ بَوَّأَهُ بِيَدِي لَحْدًا
مَا إِنْ جَرِغْتُ وَلَا هَلَهُ ت وَلَا يَدُّ بَكَايَ زَنْدًا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُطِفْتُ يَوْمَ خُطِفْتُ جَلْدًا
أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ نَأَعْدُ الْأَعْدَاءَ عَدًّا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَتُّ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
أَطْوِي فَيَا فَيَا الْفَلَاوَالِيلَ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرَّضَاءَ تَسْتَعِرُ
وَلَا أَرَى مُوَسَّاءَ غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةُ الرُّوعِ أَوْ كَثُرُوا
فَحَازِرِي يَا سِبَاعَ الْأَبْرِ مِنْ رَجُلٍ إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ لَا يَتَّقُ الْحَدْرُ
وَرَأَيْتَنِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تُمَيِّ وَتَبْتَكَرُ
مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسَتْ طَالِبُهُ بِخَالِدٍ لَا وَلَا الْجَيْدُ تَقْتَحِرُ
وَلَا دِيَارُهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسَهُ يَاوِي الْغُرَابُ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّمِرُ
٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَفْذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوَدَّيْ وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْيَتِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا أَمَرْتُ أَبْنِي
وَأَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُعَيِّرُ شَيْئَتِي
٢٣٤ وَابْتِغَاءَ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعَ مَا أُسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكِ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنِ الْبَرَاقِعَ وَاللِّقَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذِّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى التَّرَاغَا
لَقَا يَفْعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقَنَاعَا
فَلَا تَخْشَ الْمُنِيَّةَ وَالْتِقِيهَا
وَلَا تَخْشَ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْنَآ
يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَاكَ عِنْدِي
وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءِ
وَنِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
أَقْنَا بِالذَّوَابِلِ سَوْقَ حَرْبِ

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَاءِ
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْيَا طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خُيرَتْ عَنْهُ
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَايِ
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرِّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا نَنْصُحُ عَنْ مَجَاهِلٍ قَوْمَنَا
وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَمَوَّصَعُوا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَبُعَيْنُ فَاعِلْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَحِيبُ دَاعِيَةِ الصَّبَاحِ بِثَابٍ
فَنَقُلْ شَوْكَتَهَا وَنَفْثُ حَمِيرِهَا
وَنَحُلْ فِي دَارِ الْخِفَافِ يُوتُنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتْرَةُ الْعَبْسِيُّ :

وَأَجْهَدِي فِي عَدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّنْ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدَّهْ
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي اللَّيْ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تُلْمِي بِكَالِي
رِ وَأَقْوَى مِنْ رَاسِيَاتِ الْجَبَالِ
رَنَحَتْ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
لِ هَدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى الْبَرْقُ وَرَأَاهُ مِنْ أَقْدَاحِ النِّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا فَمَ سَوْقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالًا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْهَلَا إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ أَتْبِعْنِي مِنَ الْفَقَارِ الْخَوَالِي
 أَتْبِعْنِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرَّمَالِ
 ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ بِنِي وَاذْكُرْنِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ قُوَّتًا لِيُنِكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبُ أَوْ تُرْذَهَا تَجِدُنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
 وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَأَلَيْنَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودًا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُودًا
 إِذَا نُدْعَى إِسَارَ أَوْ لَجَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِدِيدًا
 مَتَى مَا نُدْعَى فِي جُشَمٍ وَعُوفٍ تَجِدُنِي لَا أَعَمُّ وَلَا وَحِيدًا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍو وَتَمِ الْلَّاتُ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدًا
 زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ نَلْتَمُ مُلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنْنَا عِيدًا
 وَمَا نَبْنِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ عَلَيْنَا وَلَا تَرْضَى حُكُومَةَ حَافٍ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْعَالِي فَجَارُنَا عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلُ بِهِ غَيْرُ حَافٍ
 وَرِثْنَا عَنْ الْأَبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَائِهَا صَفَاحٌ تُغْنِي عَنْ رُسُومِ الصَّحَافِ
 تُؤَمِّرُنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لِيَوَاهِ الْخَلَافِ
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ كَعَبَةٍ أَطَافَ بِهَا قَسْرًا مُلُوكُ الطَّوَافِ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيُخْشِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ قَمَا نَقْدُنَا إِنْ قَارَضُونَا بِزَافٍ
 وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَافِ أَهْلَهَا وَتَسْقِي زَعَافَ السَّمِ أَهْلَ الْكُتَافِ
 ٢٣٩ قَالَ الْفَرِيطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَحِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا
 لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْبَهُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بَرَهَانَا
 لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
 يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانَا
 كَانَ رَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا
 قُلْتُ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الْإِعَارَةَ فَرَسَانَا وَرُكْبَانَا
 وَلِلَّهِ عَمْرٌ حَيْثُ يَقُولُ : ٢٤٠

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ غَيْرُ تَجْهُولِ الْمَكَانِ
 وَحُسَامِي مَعَ قَتَايِ لِقَعَالِي شَاهِدَانِ
 إِنَّنِي أَطْعَمُ خَضِيي وَهُوَ يَقْطَانُ الْجَنَانِ
 أَسْقِيهِ كَسَاسَ الْمَنَآيَا وَقِرَاهَا مِنْهُ دَانِ

خُلِقَ الرُّخْ إِيَّيَّيْ وَالْحُسَامُ الْهُنْدُوَانِي
وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدِّهَانِ
وَالدَّمَاءُ تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنَهَا أَحْمَرُ قَانِي
فَأَسْقِيَانِي وَأَسْمَعَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْرِبَانِي
أَطِيبِ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُنْدُوَانِي
وَصَرِيدُ الرُّخْ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطِّعَانِ
وَصُيَاحُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَيْلَ تَقْرَعُ بِالْقَنَا
فَوَارِسُهَا حَمْرُ الْعُيُونِ دَوَامِ
وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْ عِرَاضُ قَتَامِ
وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْ عَصَابَةٌ
ذَوُو تَجَدَّاتٍ فِي اللَّهِاءِ كِرَامِ
وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَاجَابَنِي
فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلِ
يَقُودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ
غَدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكَ وَسَنَامِ
حَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانِ فَإِنَّهُمْ
سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُجَاهِي
مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيهِمْ
سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ
تَبَتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةِ
سِرَاعُ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
لَقَدْ لَهْمْدَانَ أَدْخَاوَا بِسَلَامِ

٢٤٢ وَمِنْ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عُبَيْرِ الدِّينِ بْنِ نُمَيْرٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعْيُ فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْمُولٍ
 لَتَرَى أَنَا يَبِ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَذْرُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ يَهْدِدُ تَيَمُّورُنَا عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ فَوْقَ
 السَّيْفِ وَالرَّمْحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتَ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلِيكََا
 إِذَا التَّقِينَا نَحْنُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَنْبَتَ فَأَمَرَ اللَّهُ آتِيكََا
 بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَمْلِيكََا
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوْدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُبَيِّنَا
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْقَتَّاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ يَهَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَهَابِ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ خُلْدَا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
 تَوْقُدُ عِزِّي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَجِيلَةُ حُلُمِي تَتْرُكُ السَّيْفَ مِيزَدَا
 وَفَرَطُ احْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودِ دِي سُدَى
 وَيَأْبَى إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
 وَأَظْمَأُ إِنْ أَبَدَى لِي الْمَاءُ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْحَجَرَةِ مَوْرَدَا
 وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكُ الْهَدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهَدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهَدَى
 وَتَدْمًا يَغْيِرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَأَطَى الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتَ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أَثْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لَا يَبِي الطُّحْمَانِ الْقَيْنِي :

وَإِنِّي مِنَ الْتُومِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْنُكَ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
٢٤٦ لِحَسَنَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ ثُقُلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَرَدُّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَائِبَنَا
وَنَحَاوِلُ الْأَمْرِ أَلْهَمَ خِطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا تَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
آبَاؤُنَا الْغُرُّ مِنْ نَحْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عِلْمًا فَإِنِّي عَلَّمُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ يَتِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَى فِي مَيَادِينِ سَيْفِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مُبْهِمٍ
وَسَلَ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَالِي أَلْزَمْتُكَ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي
وَرَبْتُمَا عَنِّي بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْزُرْمِ
وَضِيعِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَقْبَحَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَلَبَنِي دَهْرِي لِأَنِّي زَيْنُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَهْمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ يَتَّبِعُوا سُنَّتَنَا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاطُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنْ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَابِقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرَقُّ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَارَتْهُمُ أَهْلُ تَجْدٍ بِالنَّدَى مُنِعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَامَ
وَلَا يَضُنُّونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَانَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِعَبْدِنِ الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ نَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسَاعِنَا جَاهِلُ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَيِّنَا فَسَلْ تُبَيِّأُ أَيُّهَا السَّائِلُ
 سَائِلُ بِنَا حُجْرًا عِدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
 قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا أَفْتَحْتَ الْحَائِلُ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَيْدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلُ قَاعِلُ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعْفِي سَبَبُهُ الْعَاذِلُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَتَبَ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَشْكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَلَّتْ بِهِمْ شَهَابُهُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارِ
 وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَأَبْرَأَ عَنْ كَلَامِهِمْ إِنْ الْكِرَامُ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 ٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
 الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسِّيفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَمْسٍ الْخِلَافَةَ :

أَنَا النَّهْبُ الْإِبْرُذُ مَا لِي آفَةٌ سِوَى نَقْصِ تَمْيِيزِ الْمُعَانِدِ فِي تَقْدِي
 وَرُبَّ جُحُولٍ عَابَنِي بِحَاسِنِي وَيَقْبُحُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدُ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْهَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدَّعِي الذُّكَاةَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتُ وَقُفْتُ كُلُّ النَّاسِ فَهُمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَأَكَ حَتَّى صِرْتَ فُحْمَا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رِيَّةَ فِي بَحْيِلٍ :

بِرَاعَةٍ غَرَّيْنِي مِنْهَا وَمِضُّ سَنًا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبِسًا
فَصَادَقْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمِهِ بِعَصَا مُوسَى لَمَا أُنْجِسَا

٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُوُوسًا تَحْمَرُّهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمْآنَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا رُرَادَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحَسَامُ
لَنْ وَضِعَ الْحَيَوَانَ وَلَا حَ شَخْصٌ لَا خَطِيفَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ:

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْنِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكْ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الثَّرَزْدَقَ:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الثَّرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَلْبِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ:

لَوْ أَوْحَى التَّنَوُّ إِلَى نَفْطَوِيَةٍ مَا كَانَ هَذَا التَّنَوُّ يُزَيُّ إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ يَنْصِفُ أَسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِي فِي مَنْ هَجَرَهُ:

وَكُنْتُ أَخِي بِاللَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَأَ نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ اللَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وِفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مُهَذَّبَ الدِّينِ ابْنَ الطَّيِّبِ:

إِنَّ الْأَعْيُوجَ حَازَ الطِّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْعَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعَمَلَا
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ قُلْتُ عِنْدَهُ حِيلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَذِرِي لِارْدَى حَبَلًا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِّهِ وَقَدْ فَتَحَتْ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْذِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِالْأَعْلَى تَبْتَاعُ بِالْذِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرَتْ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضُنُّوا وَتَبْخُلُوا
مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَلُوا وَنِيرَانُكُمْ لُشْرٌ فِيهَا تَحْرَقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا قُرَيْشٌ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنَّا وَذُو الْحِجْدِ يَسْبِقُ
تَحِيُّونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَجُوهَكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ لِلْأَضَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلْوَمِ طَابَعَا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يُخْلَقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى الْوَمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِأَلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْعُتْمِيُّ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِبَصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مِهَاشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَائِهِ يَغْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبَطَّاهُ جَهَنَّمُ
٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بُقْيٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْغُرَبِ:

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَوَلَّتْ أَبِي لَكُمْ عُذْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِطُونَ وَقَدْ نَمُّتُمْ عَنِ الْكَرَمِ
فَلَا حَديقَتُكُمْ يُجَنِّي بِهَا ثَمْرُ وَلَا سَمَاوُكُمْ تَهْلُ بِالْذِّمِ
أَوْغَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَبْتُ بِالْئَدَمِ
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ السَّاهِبِيُّ يُهْجُوا أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِيَّ السَّاحِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيْبَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ
كَمْ يَدَّعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَدْرِئَةِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَّاءَ أَسْلَ مِنْكَ إِذَا حَوَّاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَارَعُوا

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُتْرُ فِي خَاتَمِ الْبَصْفَةِ دِي :

وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجَّتِهِ كَأَنَّهُ مَلِكُ نَجْمِ الدُّجَى فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رَكِبَتْ فَإِذَا مَا قَاتَ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ

٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِّزًا فِي قَلَمِ :

وَطَائِرٌ فِي وَكْرِهِ نَائِمٌ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مِيقَاتِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَقْعِ الْقَارِكِ يَأْخُذُ بِالْمِيقَاتِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَافَةَ مُلْغِزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّمَا لَتَقْبَلُ تَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمِرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغْزًا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٌ خَرَسَاءُ بَادٍ سُخُوبُهَا تَكْنَفُهَا عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ نُخَيْرُ
يَلْذِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَخْرُجُ جَاشٍ مَخْرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبٍ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ اللَّغْزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغْزًا مَحَالًا وَلِنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَظَمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعٌ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا عَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارُ
يَلَا لَحْمَ وَلَا رِيشَ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارُ

بَطَّعَ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّ نَارٍ
وَأَنْقَذَا الْفَرَزِينَ إِلَيْهِ . فَكُتِبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْحَيَالِ . وَكُتِبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ الْفَرَ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْحَيَالِ وَالثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالصَّحْبِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنَعَةِ الْكِيمْيَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَارِ وَالْأَبَقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلَا فِرَاطَ بَرْدِهِ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمُهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَلَشَكْلِهِ فِي افْتِرَاقِهِ وَالتَّامِهِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكَايِهِ وَتَوَقَّعَا عَقْلَهُ
(لَا بَنَ حُجَّةَ الْحُمُوي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفَدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَسَّاهُ فِيهِ دَأَاهُ
وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاهُ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمَعَ
يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاهُ
وَإِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعَلْتُ
لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَعْتَاهُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي شِعْمَةٍ :

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ
كَأَنَّهَا غَرُّ الْقَتَى
مَرْكُوزَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرَى :

وَمَا حَيَوَانٌ عَمَّسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ
لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةً رَتَبُهُ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَنَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَلُّ الْحُجُبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِّيَّةِ قَادِرٍ وَيَخْزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رِجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِآخِرٍ فِي الْفَكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُنْصِرُ مَا أَرَادَ يَغْيِرُ عَيْنَ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنَ
٢٨٠ لِلْمُتَلَبِّي فِي الْحَمَى :

وَزَائِرَةٌ كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَايِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاةِ
كُتِبَ إِلَيَّ، وَالِدُهُ مُلْغَزًا فِي بَابِ يَقُولُهُ :

مَا وَاقِفٌ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَرِّجُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَتَمَجُّيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي نُجَيِّ الدِّينَ بْنَ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُلْغَزَا فِي بَابِ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكَتَبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَضَخُّفُهُ إِنْ يَرْمَقُ
 فَاجْبِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَلَةِ الْفَضَائِلِ تَسْبَقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ بِدَمْشَقَ الْخُرُوسَةِ مُلْغَزَا فِي فَاخْتَةِ:
 وَمَا ظَاهِرُ يَهُوَى الرِّيَاضِ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْئَلِهَا وَيَغْرَدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتْ عَنْهُ فَاخْتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ

هَذَا الْمَغْزُورُودَ إِلَى الدِّيَارِ الْبَصْرِيَّةِ وَحَلَّهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَّيِّ يَقُولُهُ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ عَدَا دُونَ مَرْقَاهُ يَمَّاكَ وَفَرَقْدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمَنِ النِّعَامَةِ أَجُودُ
 سَوَّالُكَ عَنْ أَنْتَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَزَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَشْدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ تَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَايِي لَا أُطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمُذْ بَانَ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمَسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى يَمَنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوَّلُهَا مَعَ مَا يَلِيهِ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخٌ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لِوَاوُكُ يُعْقَدُ
 فَخَذُهُ مِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَةٍ فِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصِدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلَغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يُلْقَى وَرَأَهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَاتٍ
وَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تَيْجَانًا
وَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَا فِي مُقَقَّصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ اسْتِجَاعِهِ يَصِيرُ مُهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلَيْثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَرَأَهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبَتْخِيفِهِ حَقِيرًا مُهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضْعِيفِهِ زِدْ بَعْضُ الَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذِرِي الْبَيَانَا
وَإِذَا لَمْ تَذِرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذِرِي الْبَيَانَا
وَيُخْرِيفُهُ تَوَدِّبُ مَنْ شِلْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا
ثَلَاثُ دُرٍّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشٍ ذَبَّ عَنَّا تَضْعِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَأَفْتَرِسَهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لَنْزُ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَفْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَتُّ شَدُو مُرْقِصٌ مُطَرَّبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفَقُ
وَلِيَجْمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنُ فَرَّتْ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجِّ الطُّوْقِ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُبُوثُ غَابَاتٍ . وَغُبُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُهُودِهِمْ خَوْزٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعَرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوَرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلَفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءٌ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءٌ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرُ . وَرَمْلٌ أَغْفَرُ . يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مَيِّتٌ أَلْعَدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عَجَاجُهُ . وَتَعَظَّمَتْ
أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِنَارِ الرَّاكِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَرَ عَلَى
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَافِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
تَحْفُورَةً يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدْلَةً . يَخْرِثُونَ بَطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَافِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لَعَنِيهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ. حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
النَّدَى. وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ أَلْتَرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ جَلَابُهُ. وَيُغْنِي ذُبَابُهُ.
فَيَنْتَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةُ بَيْضَاءُ. إِذَا هِيَ غَبَرَةُ سَوْدَاءُ. فَإِذَا هِيَ
زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ. فَقَالَى اللَّهُ أَلْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
قَالَ: لِلَّهِ دَرُكُ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهَدْتُهَا
وَصَفَ دَابَّةً

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ. فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً.
فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَمِّ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشُكْوَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ الْغَمِّ وَالْغَمِّ دَهَاكَ.
فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي. إِنَّمَا تَرِيتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
دَابَّةً اشْتَرَطْتُ لِي فِيهَا الصَّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَتَقَبَّيْتُ
نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ: لَا أَهْلَا بِكَ
وَلَا مَرَحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: أَيْنَ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَشِيشَةِ مَضْطُوبٌ. فَقَالَ: كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
أَتَحْسُ مَرْكُوبٌ. وَأَخْسُ مَضْطُوبٌ. إِنْ رَكِبْتُهَا رَقَسَتْ. وَإِنْ نَحَسْتُهَا
تَمَسَّتْ. وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَصَتْ. وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ. وَإِنْ سُسْتُهَا
رَقَدَتْ. وَإِنْ تَزَلْتُ عَنْهَا شَرَدَتْ. تَقَطَّعُ فِي يَلَمِيهَا. وَتَضُكُّ
بِرَجْلَيْهَا. حَدْبَاهُ جَرَبَاهُ كَبَاهُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تَحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ.
وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكَبَّلَ بِالسَّلْبِ. إِنْ قَرُبْتُ مِنَ الْجَرَارِ كَسَرَتْهَا.

وَأِنْ دَنَتْ مِنَ الصَّغَارِ رَقَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَمْشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ دُمْتَ
تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَخَرَتْ وَتَخَرَّتْ . مَنْ أَسْتَنْصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَتَلَّتْهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَهْضُ . وَتَقْرِضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْهِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كَدَامَةُ . هَجَامَةُ .
نَوَامَةُ كَأَنَّهَا هَامَةُ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةُ . حَرُوتُهُ . مَلْعُونَةٌ مُجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتْدَ وَتَقْرِضُ الْجَسَدَ . وَتُقَتِّعُ الْكَيْدَ . وَلَا تَرُكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لُشْمِيرٌ وَتَعْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقِقَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأُذُنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . ثَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُعَلَّةُ الْأَضْرَاسِ . مَمْبَرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشْيَهَا قَلِيلٌ . وَجَسَمُهَا
تَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْهِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَعْتُرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْهِلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةُ شَهَاقَةٍ غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتُخَشِّرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرَمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَأَضْعَفَ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تُخَوِّجُنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكنز المذفون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَقَارِيَةِ الطَّعَاةِ الْمَصَالِيَةِ: إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَعِدَ الْجِدَّانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّائِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبَعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الرُّهَادِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَجْبِي
مَضُوءَا . وَبِاتِّبَاعِ أَوَامِرِي قَضُوا . فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ . ائْتَمِ ذَائِي . وَوَصِفْ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْفَارِيتِ الْمُتَرَدِّينِ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُيْعْتُ عَلَى إِقْلَاءِ الْبَوَارِ وَالْدَّمَارِ . رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَعُتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَعِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي . وَالزَّنَادِقُ يَقْتَسِمُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْ قَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَائِبِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا .
وَلَا حَدَثٌ مِخْنَةٌ لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي إِبْلِيسُ .
نَهَضَ لَجْدِي التَّمِيسُ . وَإِلَى تَحْوِ آدَمَ هَوَى . فَغَصَى رَبَّهُ فَنَوَى . وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَائِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَّاتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْيِينِ الْوَسْوَاسِ .
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوَانٍ . وَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرِيقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرْتُ فِي ذَهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ النَّحْوَمَ . وَأَسَارِقُ النَّجُومَ . وَأَسَاقُ الرُّجُومَ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعُ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفَتَنِ . مَا بَطَنَ وَيَغْلِبُ مِنَ
النَّتَارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَرُّ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالْتَفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنْعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَّهُمْ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مُنَاشِرِي الْمَشُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنْعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مُنْوَطٍ
يُفْرِيقُ قُلُوبَهُمْ وَجَمْعٍ سُوَيْدَائِيهَا إِلَى بَائِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي النَّادِي . فَاقُ
الْحَاضِرِ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَلِيسَةِ
حَفَدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَالِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ الْوُطَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَايِمِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجَوَاهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ دَجْلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخَلْقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَنْوُثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَصَحْوُكَ السِّنِّ . بَشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ . يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَاقَةٍ . وَيُحْيِيكَ بِبِشْرِ . وَيَسْتَدِيرُكَ بِكَرَمٍ .
 غَيْثٌ وَجِيمِلٌ بِشَرٍ . تُبْهِجُكَ طَلَاقَتُهُ . وَيَرْضِيكَ بُشْرُهُ . صَمَّاكَ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ . عَبْدٌ لِضِيْفَانِهِ . غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ . بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ .
 حَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِحُ الْحَلَمِ . نَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخُلُقِ .
 مُحَصِّنُ الضَّرِيْبَةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَالٍ . كَاسٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَامَةٍ . إِنْ سُئِلَ بِذَلِكَ . وَإِنْ قَالُ فَعَلَ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُحِبُّ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَنَاعُورَةٍ قَدْ أَلْسَتْ لِحْيَتَهَا مِنْ الشَّمْسِ تَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ بُسْتَانٍ تَدُورُ وَتَجْلِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْدَلِسِيِّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَاسِلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُنِيتْ أَفْنَانَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَائِمُ مَجْوَاهَا فَيُحْيِيهَا وَيُرْجِعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِمَعْهَدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا
 صَاقَتْ تَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَقْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَابُ الْوَرْدِ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا ضَمْحَى وَعُيُونُ التَّرْجِسِ أُنْفَقَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحْرًا وَمَالَتِ الْقُضْبُ لِلتَّغْنِيقِ وَأَضْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدْ رَشَّ تَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى مَجَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَحَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَالطَّلُّ فِي سِلَاحِ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْعَدِيدُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَنَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ قُتِلَتْ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرَتْ وَمِنْ الْأَضْيَابِ تَتَصَفُّ
وَمِنْ النَّسِيمِ تَلَطَّفَتْ وَمِنْ الْعَدِيدِ تَتَذَفُّ

زهرة صفى الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّيْحُ قَرَحًا يَرُدُّوهُ وَبُورٌ يَهْجِيهِ وَتَوْرٌ وَرُودُهُ
رَبْحَسَنٌ مَنَظَرُهُ رَطِيبٌ نَسِيمُهُ وَأَنِيقٌ مَلْبَسُهُ وَوَشْيٌ يَرُودُهُ
فَصَلُّ إِذَا أَقْفَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتٌ تَصِيدُهُ
يُعْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِالْأُفْرِ عِنْدَ هُبُوبِهِ رُودُهُ
يَا حَبِذَا أَزْهَارُهُ وَتَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِحُهُ وَحَبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَاوِبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٍ مَعْبَدٌ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَّائِلَ بَدَمًا أَخَذَتْ يَدًا كَانُورٌ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سَرَاهُ جُنُودِهِ
وَأَنْظَرُ لِنَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرَفٌ تَلَبَّهَ بَدَدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَأَعْجَبُ لَا ذَرِيَّتُونَهُ وَبَهَارُهُ كَالْتَبَرِ يَزْهُو بِأَخْتِلَافِ نُشُودِهِ
وَأَنْظَرُ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشُورِهِ مُتَوَعًّا بِنُصُولِهِ وَتَهْوُودِهِ

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرِّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالشَّجْبُ تَقْدُ فِي السَّمَاءِ مَا مَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءُ فِي جَرَيَانِهِ
فَابْكُرْ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجِدِي كُلَّمَا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالنَّهْيُ مُسَلِّطُ
وَالشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ
وَالنَّهْرُ يَنْسِيمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ النُّصُونُ فَمِلْهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ نَعِيمٍ :

مُذْقِلٌ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغُورُ الْأَفْحْوَانُ مَسْرَةً
وَأَنَّى إِلَى الْأَزْهَارِ وَهُوَ أَمِيرُ
لِقُدُومِهِ وَتَلَوْنَ الْمُنْشُورُ

٢٩٩ قَالَ الصَّابِيُّ فِي سَمْعَةٍ
وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُذْجَنَةٍ
كَلَّمْتُ نَفْسِي بِهَا الْإِدْلَاجَ مُمْتَطِيًا
إِلَى حَبِيبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنَزَلَةٌ
وَلَا دَلِيلُ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غَضَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيدُ أَثْمَرُ فِي

لَا النَّجْمُ يَهْدِي الدُّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ هُوَ الصَّارِمُ الْعِصْمَامَةُ الذَّكْرُ
مَا حَلَّهَا قَبْلَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجِخْ أَلِيلٍ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتُهُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّعَتْهَا دُونَهَا الْجَدْرُ
٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيُّ فِي الشَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفَرَاءُ لَوْنُ التَّبَرِّ مِثْلِي حَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةُ الضَّنْكَ
تُرِيكَ انْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظْهَرُكُمْ تَحَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدُّهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثَرَةِ الضَّنْكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْقَيْتُهَا صَيِّحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْقَصِيحَةِ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللَّسَانِ يُوهَمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
بِكَمَاهُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَنْتْ عِنْدَكَ كَأَلْفَعِيدَةٍ
ضَيْفُ قِرَاهِ الْجُوزِ وَالْأَرْزُ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَانِهِ يُعَزُّ
تَرَا فِي مَنَاقِرِهَا الْخُلُوقِ كَلُولُوهُ يَلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
تَمِيسُ فِي حَاطِنِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلَ الْهَتَاةِ الْغَادَةِ الْعُذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ حُدُورُهَا الْأَقْقَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَسْبِهَا خَلَاصُ
مُخْسِهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لَهْرَطِ الْحَبِّ
تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كَنَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمَاهَا مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَّانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَضَرٍ تَفِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ اللَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بَنَاهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا قَدَّتْ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتَنَا مِنَ الْحَسَادِ عَيْنٌ فَاقَتْ أَهْلَهَا بِالْمُتَجَنِّقِ
 وَقَوْمٌ أُحْرِقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٌ تَنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةٌ لِقَدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى النَّهَابِ وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ عَلَيْهِنَ الْقَلَائِدُ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقَ وَقَدْ فُقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُتَغَرِّبٌ قَرِيبَ الدَّارِ مُلْقًى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذَرُونَ مِنْ أَيِّ التَّرِيقِ
 فَاوَلَدَ يُقِيمُ عَلَى آيِهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ قَوْلِي فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيُّ الدِّينِ الْحَلِيُّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَجْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتُهُ وَالْمِيَاهُ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبِاسِمُهُ وَالنَّجَسُ النَّضْرُ فِيهَا شَاخِصُ الْمُتَدَنِّ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِيرٍ أَوْ أَصْفَرٍ قَاطِعٍ أَوْ أَيْضٍ يَبْقٍ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مَبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْبِجُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقٍ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْفُضْنُ فِي قَلَقٍ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَالْدُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَذَرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكُنْهَا فِيهِ بِسَاطِ أَرْزَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَارٌ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِذَرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَنْغِيَا
 وَالْبَذَرُ يَخْتَجُّ لِلْأَفْوَلِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتٍ بِشَجْوِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْمَحُ
 تَنْوُحُ بِلَا إِلْفٍ وَقَلِي غَرَامَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَرْقُمُ
 وَتُغْرِبُ فِي الْحَانِيَا وَفُؤُونِهَا فَتُغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَجْمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخِيهَا قَدْ اخْتَطَقَتْهُمَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حَوْمُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشُهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَانْكَمُ

٣٠٦ بِنِ الْعُجَيْبِ قَوْلُ بَذَرِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ لُؤْلُؤٍ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرًا إِلَى الرُّوضَةِ لَتَسْتَجْلِيهَا فَتَغْرِهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
 وَاللَّجْسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا قَعَضَ طَرَفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشُّرُورُ تَمْتَامُ
وَلَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرُ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ قَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتَ طَرَفِي أَمْ شَهَابُ هَذَا كَأَلْبَرْقِ ضَرَمَهُ النَّهَابُ
أَعَارَ الصَّبِغُ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَبَهُ وَصَحَّ لَنَا النِّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّجَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَذْنِي مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يَلْفِي الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ أَحْطَبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَزَلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ حِلَقَا
تَحِيدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلُّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْصَحُ مَنْطَقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مَحَاسِنَا وَتَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَّادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى
إِنْ تَعَشَّفُوا وَطَنًا فَذِي أَوَّلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بَانَ لِحُبِّ وَتُعَشَّقَا
خَيْرُ الْإِنْسَانِ أَنْاسُهَا يَدْعُونَ أَنْوَاعَ الْوُدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةُ الطَّائِمِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَدُونَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءُ لِلنُّفُوسِ وَمَاوَاهَا عَذْبُ زُلَالٍ سَائِعٍ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ التَّمَدَادِ فَلَنَاتٍ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَّأَا
وَرَأَسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي مَحَرًّا فَهَيَّجَتِ الْفُؤَادَ الشِّيقَا

كَيْفَ انْجَمَتْ يَجْرُ تَحْوِكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَاحَبَّذَا إِشْرَاقُ مَرْجَبِهَا أَلَّتِي أَضْحَى غَنِيُّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعْلُو أَلْجِيَادِ السَّبَقَا
 صَحَّكَتْ أَزْهَرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى أَلْسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَلِكَ أَلْحَمَامُ وَشَقَّ شَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي أَلْتَقَى
 وَبِهَا أَلْقُصُورُ أَلْعَالِيَاتِ تَرْخَفَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلْقٍ بَهْجَةً وَطَلَاوَةٌ فِيهَا أَلْسُرُورُ تَحْقَقَا
 سَقَيْتْ دِمَشْقُ أَلْشَّامِ صَوْبَ عَمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غِيْطَانِهَا قَدْ دَفَقَا
 كَمْ زَهَّةٌ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرْفِ أَلْمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا أَلْجَامِعُ أَلْأُمُويُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِأَلْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقاناً بناءً وغبابةً صنعةً واحتمالاً تنسيقاً وتزييناً . انتدب لبنائه الوليد . وبلغ الغاية في
 التأنق فيه . وأُنزلت جُدْرُهُ كلها بفصوص الذهب المروقة بالفُسَيْفَسَاءِ . وخلطت بها أنواع من
 الأصبغة الفريفة قد مثلت أشجاراً وقرعت أغصاناً منظومة بالفصوص بدیع الصنعة المعجزة وصف
 كل واحد . فجاء بنفي العيون وبيضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذرعه ثلاثمائة ذراع . وذرعه في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٤ سارية و٨٠ رجل واثنتان من رخمة مُلصقة بالجدار الذي يلي الصحن . وأربع أرجل من رخمة أبدع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نُظمت خواتيم وصورَت محاريب وأشكالاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته ستمائة عشرين خطاً . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَتَقَتْ صُنَاعُهُ بُنْيَانَهُ فَأَتَى الْمَزْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَتَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَن تَدَاوَلَهُ رَقَى
 وَآلَاتُ هَاتِيكَ الْمَآذِنِ تَتَجَلَّى مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أُثْلِقًا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِرَنَمٍ يُشْجِي الْفُؤَادَ السَّمَا
 وَالْعَشْرَةَ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَاقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَا حَبْذَاكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَأَنْجَلَى فَقَدَا بِهِ مَاءَ الْأَسِيمِ مُرْقَرًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعًا وَتَفَرَّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عُلِقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيَقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِقَا

وسقف الجامع كله من خارج الراح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شعاعها الزجاجية المذهبة الملوثة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القليل . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العباره تصورها . ومحرابه
 من اعجب المحاريب الاسلامية حسنًا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كله . قد قامت في وسطه محاريب
 صفار متصلة بمقداره تحفها سوريات مفتولات قتل الاسورة . فانها مزروطة بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شي . اجهل منها . وله اربعة ابواب وباب جبيرون اعظمها وله وبالغري دهاليز
 متسعة يفضي كل دهاليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره أنه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلّهِ أَيَّامٌ تَقْصُتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تَحْوِ ظِلَالُهَا مُتَسَوِّقًا
 هِيَ مَنَشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلُ عُمْرِي لَا أُنْسِي لَا الْغُورُ وَلَا النَّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا أَلْتَرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لَذِيَا فُؤَادٍ بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ أَحْطَبُ الْمُهُولُ فَافْلَقَا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمير بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر عليها الى الدهليز وهي كالحندق العظيم تنصل الى باب عظيم الارتفاع يتغير الطرف دونه سموًا . قد حَفَّتْ اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجانبي الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبوت للكرام مشرفة على الدهليز . وفوقها سطح بينت فيه سكان الحجر والبوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تُقَلِّها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفْر يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله انابيب صفار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كغضبان البين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابداع من ان يوصف . وعن عين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه عُرْفَةٍ لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُفْر وقد فتحت ابوابًا صانرا على عدد ساعات النهار ودُبرت تدابير هندسية . فمعد انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجبان من صُفْر من في بازيين من صُفْر قائمين على طاستين من صُفْر مثقوبتين فتبصر البازيين بمدان اعناقهم بالبندقيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تنفخه الاوهام سحرًا . فمعد وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الانتقاب الى داخل الجدار الى الفرفة ويتعلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتعلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس محزّمة في كل دائرة زجاجة . يخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محسرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيبعد فتح الابواب ويسرح الصنع الى موضعه وهي التي تُنْسَى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها . (للشريشي)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والغيل

٣٠٩ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَيْلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْقَيْلِ شَيْئًا. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْعُوْمِهِ سِقًّا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرَفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْقَيْلَالَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْقَيْلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْيَابِهِ. فَجَالَ بِهِ الْقَيْلَالُ جَوْلَةً كَادَ يَحْطِمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَاطِبَ الْخَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلَهُمَا مُجَوِّفٌ فَأَنْقَلَعَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذَرَ الْقَيْلُ وَبَقِيَ النَّبَاتَانِ فِي يَدَيْ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَهَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْعُوْمَهُ بِجُسَامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْقَيْلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنْ تَكَلَّيْتُ مِنْهُ فَعَذْرُكَ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَتَخَوِّبِ الْفَوَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرَقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازِمْتُ أَيَّ لَزَامٍ
وَعَذْتُ بِنَائِيهِ وَأَذَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَايٍ

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء.

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَحْكُمُ بَيْنَ الرِّعَايَا . إِذَا قَبِلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . نَظِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفِيهِ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَتَحَبَّاهُ . وَأَوْفَقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِبَّاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ . جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبًّا نَا صِغَارًا . وَأَوَّلًا نَا مِتْنَا غِزَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَنْتَزِعُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْتَطِفُ يَانِعَ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَلَسَا لَكَ
الْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَنَظَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ قَمَا الْجَوَابُ . وَالْغَلَامُ مَعَ ذَلِكَ
نَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنِ الْإِسْتِيحَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ ؟ فَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيًّا
بِكَلِمَاتٍ حَسَنٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَهَذَا وَعِيَا . فِي مَا أَدْعَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأْنَاهُمَا

قَصَّيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمُ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتْ بِي
 بَعْضُ طَرَائِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . يَنْتَاقِي إِلَيَّ حَبِيبَاتِ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتِ . بَيْنَهُنَّ فُحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَالِجُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ النَّتَاجِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنَّتِ الثُّقُوبُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَائِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاقَلَتْهَا بِمَشْفَرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ذَهَرَ . وَتَسُورُ الْحَائِطِ وَزَفَرُ . فِي يَدِهِ
 أَلْيُنِي حَجَرٌ . يَتِمَادِي كَأَلْيُثٍ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفُحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَاطِعَ لُجْنِهِ وَأَنْقَابَ .
 تَوَقَّدَتْ فِي جِمَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاقَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرِ بَيْنَهُ نَضْرِبَتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَيْقَى سُوءِ مُتْلَاهِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً . فَأَمْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَتَيْنِ فَأَمْسَمَ إِيَّانِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عَمْرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجِبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعَا وَطَوَعَا لِمَا حَكَمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيَتْ بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِمَالٍ خَبِيرٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهُ

عَلَيَّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذْتُ لَذَلِكَ
مَذْفِيًا . وَوَضَعْتُهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِقِتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكَذْتَ أَنْتَ السَّبَبُ . وَطَالَ بِكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مِنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعِلَامِ . وَعَدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالْعَوْدُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَنَظَرَ الْعِلَامُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمَنُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِي
الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
يَنْتَظِرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مَنْ قَدَفَرَّ . فَلَا
نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْعِلَامُ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْعِلَامُ . وَقِيْتُ بِالضَّمَانِ .
وَأَسَلَمْتُ نَفْسِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْعِلَامُ .
لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْضَيْتُهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَيَهْلِكُ عِبْرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَارْقُضْ زَوَاتِ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّخِيرُ . وَتَرَابَدَ

النَّشِيجُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابَّيْنِ اخْذَ الدِّيَةِ . وَاعْتَسَمَ
الْأَثْنِيَّةُ . فَأَصْرَأَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيَّاءُ إِلَّا اخْذَ بِنَارِ الْقَتُولِ . فَيَنْمُو
النَّاسُ يَمُوجُونَ تَلْهُمًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
الْعَلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمْ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ
مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّيِّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
خَفِيَّ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَا كَانَ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَفْتَحْتُ
هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ عَدَرَ . لَمْ يَفُ عَنْهُ
مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
حَضَرَ لَمْ يُبْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنَ
النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمِنْتُ هَذَا الْعَلَامَ
وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنِ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
الرُّوَّةُ أَنْ تُحِبَّ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْعَلَامِ دَمَ آبِنَا . فَلْتُبَدَلْ وَخَشْتُهُ بِإِنْسَانٍ .
كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْقَوِ
عَنِ الْعَلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَغَرَّ رُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ
دُونَ جُلْسَائِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابَّيْنِ فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْيَتِي :
 مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَغْدَمْ جَوَارِزَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لَهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةً
 أُبَيَّهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ ابْتِغَاءَ لُوجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مَنْأً وَلَا أَدَى . قَالَ الرَّاوي : فَأَعْتَدْتُهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَأَثْنْتُهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للالتيدي)

محمد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاتَّبَعَهُ شَاعِرٌ أَبْلِيغًا .
 فَغَزَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِنُغْلٍ مُحَمَّدٍ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَمْحِلُهُ إِلَيْهِ
 أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فَتِيَّةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَائِلَ
 أَلْعَظِيَّةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا مُحَمَّدًا أَوْ أَتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفَتِيَّةُ إِلَى طَلَبِهِ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَيْنَاهُ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 مُحَمَّدٌ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَأَكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبَ الزَّمَانُ . وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
 وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَأْسٌ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ الرَّاوي : فَتَجَبَّ
الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي قَادِفٌ بِكَ فِي
حَفَايِرِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتُكَ كَفَانَا مَوْتُكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرُبَ الْقَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِعَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادِلَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَحْمِلَهُ
إِلَيْهِ . فَأَرْتَادِلَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ الْمُنْظَرِ كَثِيرَ اخْبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَيُسَبَّحَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَالْتَمَى فِي الْحَفَايِرِ وَلَمْ يُطْعَمْ
شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَلَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالتَّاسُ حَوْلَهُ
يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ
نَهَضَ وَوَتَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَيْرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
الْأَرْضِ . فَسَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ صَنْكِ كِلَاهَا ذُوقُوهُ وَسَفْكِ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَسْكِ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِتَاعَ الشَّكِّ
فَأَنْتَ لِي فِي قُبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْجَبَ
الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرْكُ مَا أَمْجَدُكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَايِرِ وَفُكَّ
وَنَاقَهُ وَقِيدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُعِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِنَّمَا أَنَا نَازِدٌ لَكَ فَتَحَقَّقْ بِإِلَادِكَ وَتَشَرُّطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُخَدِّثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَعَمَلَهُ مِنْ سَمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اخفائه

٣١٢ حَكِي الْأَوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا لَهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْفِيَادُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتَظَامِ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَيْسَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَافْتَتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِرِفَاقٍ قَشِيتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي لَأُتَابَ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ قَدَّ الْحِلَّةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوُسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَعْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَتَقَلَّى عَلَى جِمرِ الْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَلٌ حَامِلٌ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
 وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَحِجْرَةً نَظِيفَةً وَكِيزَانًا جَدِيدًا فَطَحَطَاهُ عَنِ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمَضِرُ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ نَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَذِرْ فِي عُمُرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَذَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرْبَى مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي الِهْمَّ وَيَدْفَعُ الْغَمَّ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ نِي بِقَدَحٍ وَبِدَسْتٍ مَلَانِ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوْقٌ لِنَفْسِكَ مَخَافَةً أَنْ تَتَقَرَّرَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الْأَدَسِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفَعَلْ
 فَشَرِبْتُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَتِهِ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يَغْنِي فَلاَكَ عُلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَتَى أَحْسَنُ
الْفَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَدْيِ خَلِيفَتَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهِ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَّتْ مِرْوَةٌ تُعْنِدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلْدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
فَأَسْتَوِي عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمَفْرُطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِي مَا سَخَّ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمِرْوَةٍ تَكْ . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنَشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحِبَّائِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عَيْنَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِثْلَنَا نُلَاقِي لَكَائِنَا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَخَانِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْمَلَمَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّنِي مِنْ هَذِهِ النُّزْهَاتِ فَأَنَشَدَ لِلشُّوْءِ :
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قَطَلْنَا لَهَا إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْمَسَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَامِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ . فَقُمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيْطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَائِرُهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَالَّذِ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخْذُ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَ إِلَيَّ الزَّمَانُ . قُرْبُكَ وَحُلُولُكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا أَقْتَنَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيْطَةَ إِلَى كَيْيَ وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أُنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَّانُ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْؤَنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطٍ أَنْ تُثَبِّقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيْطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الَّذِي عَيْشٍ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيْطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمُّتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْشَشْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَرِيَّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صَرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلْنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرُشُوشٍ فَنَظَرْتُ جُنْدِيَّ مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَا فِي ذَلِكَ الْمَرْلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرًا وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْبَبْتِي دَيِّ
فَأَنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعْتَنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَفًا
عَنيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
وَهُوَ شَدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْغَنَى وَأَنْفَلَتْ مَنِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظْنُكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَدَتْ لِي الْكِرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتَ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنْهَكُكَ .
فَالْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَنْجُو بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمُهَلَّةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَيْسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِنُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِعْتِمَامِ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِ
قَدْ أَقْبَلَ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عَيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُؤْمِنِ . فَعَقَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ النَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ فِيمَعْدَلِكَ وَإِنْ تَعَفُّ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أَشَدَّتْ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَقَدْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأَضْحِ بِحِلْمِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ رَأْسَهُ وَنَظَرُوا إِلَيَّ قَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدَلٌ

فَرَفَعَ لِي الْمُؤْمِنُونَ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأَسْتَرَوْحَتْ رَوَاحِجُ

الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعٍ مِنْ

حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارَ بِقَتْلِي

إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا نَقُولُ

يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ

مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَكْسَرُ الْمُؤْمِنُونَ

رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأَشَدَّ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَقْنَعَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَفَوِّدَ مَعَهُ بُعْذَرِهِ
 وَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَنَاطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمُسْكَارِمَ حَارَهَا فِي صُلبِ آدَمَ الْإِمَامِ السَّابِقِ
 مَلَأْتُ قُلُوبَ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَاهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَسِينَ وَالِدَةِ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَا لَكَ وَضَيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا
 قُلُوبُ بَذَلْتُ دِمِّي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ
 فَإِنْ جَعَدْتِكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدَرًا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَافَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِقْدِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَاةَ اُتْمَتَانِ الشَّافِعَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظَنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
 دَوْلَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْغَفْوَةَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُتَنْظِرَةً لِلْجَارَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَادْخُلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْنَعُ لِلْمُهْمَاتِ . ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مَرْوَةٍ تِلْكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيقَةُ الْأَفْرَاحِ لِلْيَمِينِ)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَازَنِ الْكَاتِبُ الدِّيَنُورِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَاللهُ :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّبِينَ سَلَامُهُمْ مِنْ سَاعِدَتِكَ مُبَضَّعٌ يُبَضِّعُ
فَعَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ قَطَطُوي أَدْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَفْصَلَتْهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَلَتْهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرَعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانُهُ أَسْهُمِ أَمْ ذُو الْقَفَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَتْرَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَرُ الْعَبْسِيُّ غَيْرَ مُدْرَعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ يُطْلَبُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بِرَاغِيًا لَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا انْتَبَهَوْا فِي اللَّيْلِ لَمْ أُنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَلْيَدْعُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغِيمِ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يَقْضِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالتَّكْرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِي أَنَامَ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تَظَنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ أَنفُسِي مُخْدُودِبَاتٌ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الطُّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَلَا السَّامُ فِقِيهِ لِقُرُومِ الْجِمَالِ أَيُّ جَمَالِ

كَوْنُ اللَّهِ حَدَبَةٌ فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ الْفَضْلِ لَا مِنْ الْإِنْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طَوْدٍ جَلِيمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَجْرِي نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حِلْيَةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَائِمِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْزَاءِ فِي الْحُدْبَانِ
يَا مُشَبِّهَ الْفُضْنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدَبَةٍ فَيَمِيسُ كَكَلِّ الرِّيَّانِ
يَا مُنْجِلًا شَكْلَ الزَّمَانِ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُسْرِىَ إِلَى نُفْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةَ إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بِيَدَانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدَبِيَّةٍ فِي حَلْبَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا أَشْتَقْنَا قَبَابَ الْمُتَعَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْقَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطَرِبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنِعْمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدَبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقَوْ لِلطُّوفَانِ
وَمُدِيرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِلَ تَمَثَّلَا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدَبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْحُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّبٍ يَمِشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
مُتَجَمِّعَ الْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطيب والحليقة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ فَلَّاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضْعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا ذَا هَيْنَ .
وَعَلَّاجُهُ بَيْنَ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفَ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَى
وَأَسْتَوْصَفَهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمَدُهُ بِحُجَّةٍ بَيِّضٍ كَثِيرَةٍ الْأَبْرَارِ . وَضَعَ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسْتَحَقًّا عَلَى النَّارِ . فَقَعَلَ ذَلِكَ فَبَرَّتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكُلِّيَّةِ أَلَمُهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَاحَةِ . وَالْإِشْغَالَ يَعْلَمُ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرُهُنَّ يُسِيرُ . وَيَأْذَنِي
أَمْرٍ حَقِيرٍ . يُحْصِلُ الْمَالَ الْكَثِيرَ . فَبَاعَ آتَاتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاقِرَ . وَكَرَارِيسَ مُخَرَّمَةً
مَنَازِرَ . وَوَسَّعَ أَكْمَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعِمَامَةِ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأُورَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعَ لَذَاكَ كَرَارِيسًا مُنْتَرَةً وَجَمَلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعَ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ كَقَبَةِ النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَجْمَعَ مَعَاجِينَ مِنْ رَبِّ مُخْلَطَهَا وَأَسْحَقَ سَفُوفًا وَانْجَحَالَ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِلَّتْ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغَرَّبَةٍ كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
وَقُلَّ مِنَ الْهِنْدِ جَاهَذَا وَمِنْ عَدَنٍ هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ ثَقُفُورِ

وَذَا مِنْ الْبَحْرِ بَحْرُ الصِّينِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنْ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِرَبُّورِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْأَسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمِ قُلْ تَوَرَّمْ مِنْ لَسَعِ الزَّنَابِيرِ
إِنْ أَقْشَرَ قُلْ بَرْدُ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرُّهُ وَهَجُّ التَّسَانِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ دُونَهُ الْبُورِي
فَإِنْ يَبْسُ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يُمِتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمٌ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ قُلْ عَلَيَّ وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ صِدْقُ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فِقْهًا فِرَ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَاكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَذْوِيرِ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرِ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمَعْبَرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذُ مُفِيدٍ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَآخِرَ . أَعْطَنِي دِينَارًا
آخِرَ . أَصِفْ لَكَ أَلْسَرَ دَوَاءً . يُخْصَلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا يُعْوَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْرَثَهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمَ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَيْضِ . صَمِدَ رِجْلَكَ بِعِجَّةٍ بَيْضِ .
مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَكِنْ ذَلِكَ مُسْتَحَنًّا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِلًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَادَّبَهُ التَّادِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَ
عَلَى كَلَاخَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فَلَاخَتِهِ (فَاكِهِةُ الْخَلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبِشَاه)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمَتَّاجَاءُ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ مَارَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ الْبَرِّيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَيْرِهِ . قَالَ : هَذَا يَقْصِدُنِي فَلَا يَكْلِمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي . فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تَضْرِبُ . وَالْحِيَامَ تَنْصَبُ . وَالْعَسْكَرَ الْكَثِيرَ وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ . وَسَمِعَ الْغَوْنَاءَ وَالصَّجَّةَ ظَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَزَلَّ وَعَقَلَ رَايِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . قَالَ : اخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : أَلَا نَ قَارِبْتَ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . قَالَ : مِنْ فُضَاعَةَ . قَالَ : مِنْ أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَفْصَاهَا . قَالَ : مِنْ أَفْصَاهَا . فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ : مِثْلَكَ مَنْ يَقْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ قَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ . قَالَ : قَصِدْتُ هَؤُلَاءِ الْأَمَاجِدَ الْأَنْجَادَ الَّذِينَ قَدْ أَشْتَهَرَتْ مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ . قَالَ : مَنْ هُمْ . قَالَ : الْبَرَامِكَةُ . قَالَ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ خَلَقَ كَثِيرٌ . وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ . وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ . فَهَلْ أَفَرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَأَتَيْتُهُ لِحَاجَتِكَ . قَالَ : أَجَلْ أَطَوَّلُهُمْ بَاعًا وَأَسَحَّهُمْ كَمًّا . قَالَ : مَنْ هُوَ . قَالَ : الْفَضْلُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ جَلِيلٌ أَلْتَدْرِي عَظِيمُ الْخَطَرِ . إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا لَمْ يَحْضُرْ مَجْلِسُهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُهَمَاءَ وَالْأُدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ وَالْمُنَاطِرُونَ لِنَعْلَمَ .
 أَعْلِمَ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِيفُ
 أَنْتَ يَا أَيَّامَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارُهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بِكِتَابٍ وَسِيلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بِأَيِّ ذَرِيعَةٍ
 أَوْ وَسِيلَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قُلْتُهُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أُنْشِدْنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلِحَانِ أَنْ تُلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِمَا نَهَيْ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ تُلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَخِجْ بِشِعْرِكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَفَعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنِي أَقُولُ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّ مَسَهَا جُوعٌ طِفْلُهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لَأَغْتَذَى الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحَنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَالُكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَيْنِهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُتَحَنِّنًا هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذَتْهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقَتْكَ الْأَدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتْ الْأَغْنَاكُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تَنَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَّتْ جَهَائِدُ فَضْلِ وَزَنَ نَائِلِهِ وَمَلَ كِتَابُهُ إِخْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَا الْيَتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّوَالْكَمِينَ رَمْلَ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدِّوَالِكَ قَدْ نَفِدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَا
الْيَتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أُنْثَانِ صَبٌّ وَبَاذِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبِّ وَالْبَاذِلِ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذُكِرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَتَشِدُّنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكِيَ الْفَضْلُ عَنْ نَجْمِي مِمَّا حَقَّ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكْ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَحِرْنَا مِنَ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَتَشِدُّنِي بَيْنَيْنِ عَلَى الْكُتْبَةِ لَا عَلَى الْأَسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ تُحْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنْشُدْنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَمَنْعَنِي
 بَعْدَ هَذَا لِأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْمَعُلَهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَمَنَّ إِلَى قُضَاعَةَ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَسْمِعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :

وَلَا نِيْمَةً لَأَمْتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَفْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
 أَتَهْنِئَ فُضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لَأَوْزَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السُّحَابَ عَنِ الطُّرُقِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمِهِ قَفْرِ
 كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لِقَوَائِمِهِ عِنْدَهُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقِلْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا بَيْتِكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ يَا بَيْتِ اسْتَرْفَاقِهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتَجْزِيهِ بِهَذَا الْمَالِ .

فَقَالَ : أَسْتَحَقُّهُ بِحُضُورِهِ إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكْبَتَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ
وَأَوَمَاتٍ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا
فَأَسْتَطَفْتُ مَالَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكْبَةً فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَأَوَمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَرَى النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ قَارِمٍ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَضَحَكَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَلَمْ أَتْلُ فَلَا تَبْسُطْ كَفِّي وَلَا تَهَضِّ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَانُ الَّذِي قَدْ بَذَلْتُهُ فَلَا مَبْقَى لِي بِخُلِي وَلَا مُتْلِفِي بَذَلِي
أَرُونِي بِخَيْلٍ نَالٍ مَجْدًا بِخُلِي وَهَاتُوا كَرِيَمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذَلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لِيُوزِيهِ . أَعْطَى الْأَعْرَابِي مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِيَكْفِيَنَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بَكَوْكَ يَا أَعْرَابِي .
أَسْتَقْلَا لِنَمَالِ الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلُّهُ
الْتِرَابُ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضُ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ دُمَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَأَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حُرِّمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقَ كَثِيرٌ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للاتليدي)

أَلْبَابُ السَّائِعِ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَيْفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ السَّائِعَ ذِكْرَهُ
الْمُنْتَشِرَ صَيْتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ فِي تَسْمِيحِهَا وَإِتْقَانِ فُصُورِهَا وَرَخْرَقَةَ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بَرْعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ
فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَزْهَرَاتِ
وَالْإِنِّشَاءِ مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْفُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قُرْطُبَةَ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجِزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُسْتَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةِ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّاتِيَةِ
وَالْخَلِيفَةُ الْخُلَفَاءُ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلَهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُّ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوَضَةِ الْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَعَجِيبَ مَا تَصَنَّمَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَيْمَةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرِاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمِدٍ كَأَنَّمَا أَفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَمِثْلُ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْيِيرِ عَنْهَا (لَكِنِّي مَثَلًا). وَكُنْتُ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةُ مَجْرِي الْمَاءِ فِيهَا بِصَنْعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوْعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبَهِى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلِي بِذَهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لَهْمَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَهْرُ
الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتُجَاجَعُ صَبْهُ. فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ جَنَّاتُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَتَمَثَّلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِقَحَامَةِ بُلْكِنَا. وَمَا
يَخْصُ سَائِرَ أَلْبَنَاءِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُخْرَجَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيشَةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ أَلَيْسِيَّةً الَّتِي أَتَمَّ النَّاصِرُ
بِهَا إِيوَنُ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرٌ مَجَّ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبَقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ أُنْعَمَتْ عَلَى خَنَائَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرَصَّعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحِطَّانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزُّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الرَّمَرِ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاءَ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَثَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
وَسَطِ النُّجَيْرَةِ قُبَّةً مِنْ رُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنْفُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى
رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْبِيرِ أَحْكَمِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الرُّجَاجِ فِي
غَلَالَةِ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الرُّجَاجِ لَا يَفْتُرُ مِنَ الْجُرَيِّ وَتَوَقَّدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
فَيَرَى لِذَلِكَ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (المقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
مِنْهَا بِلْدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ إِلَّا عَلِمَ
أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْبَاءِ مَا لَا يَضِيقُهَا إِلَّا بَيَانُ فَضْلِهِ
عَنِ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرِ وَهُمَا لَا يَهْرَمَانِ .
قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ
غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَخْلِيقِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أُضْرِمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَأَمِّلُ نُبْجًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِيقَاسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُودَةِ وَمُعْظَمُ أَتْيَانِهِ
أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُتُوبِ . وَالْمِيقَاسُ عُمُودُ رُخَامٍ سَمَرِيٍّ فِي مَوْضِعٍ
تُخَصِّرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ أَتْيَانِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ. فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
الْأَيُّهُ عِنْدَهُمْ فِي طِيبِ الْعَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ.
وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي
يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى
الْبَشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مِيَاوِمَةً
وَمِنْ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بَأَعْمَالِ بَصَرَ. وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفَضَّى مِنْهَا إِلَى الْأِسْكَندَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجَزَةٌ
الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ كَانَتْهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ
فِي جَوْ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
رُكْنِهِ ثَلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٍ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
الْعَيْنِ. وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
كَتَرْسَعٍ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
الْمُخَوَّتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعَ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُعْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
نَقْضَ بَنَائِهَا. أَمَّا الْأَهْرَامَانِ الْعَظِيمَانِ فَحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا جَنْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مُرَبَّعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
مُرَبَّعٌ رَحْبٌ. وَهَمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الْمُهَنْدِسَةِ وَحُسْنِ التَّقْدِيرِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِعَصْفِ الرِّيحِ وَهَطْلِ
السَّحَابِ وَرَعَزَةِ الزَّلَازِلِ . وَهَذَا الْبِنَاءُ لَيْسَ بَيْنَ حِجَارَتِهِ مِلَاطٌ إِلَّا
مَا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ قُبُوبٌ أَيْضُ فُرْشَ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَوْ وَرَقَةٌ لَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَهُمَا
الشَّعْرَةُ . وَطُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ فِي تَمَكِّ ذِرَاعَيْنِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا عَظِيمًا فَحِثُّهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ صِفَتِهِ إِلَّا الْأَهْرَمَيْنِ . فَإِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُهُمَا كَانَ رَوْنُهُمَا أَعْظَمَ مِنْ صِفَتِهِمَا . وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ بَنَى
الْأَهْرَامَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

صَرَّتْ عُقُولُ ذَوِي النُّهَى الْأَهْرَامِ وَاسْتَصْفِرَتْ لِعَظِيمِهَا الْأَجْرَامُ
مُسْنٌ مُوَبَّقَةٌ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَعَرَتْ لِعَالِ دُونِهَا سِهَامُ
لَمْ أَدْرِ حِينَ كَبَا الْفَكْرُ دُونَهَا وَاسْتَوْهَتْ لِحِجَابِهَا الْأَوْهَامُ
أَقْبُورُ أَمَلَاكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَسْمُ رَمْلِ هُنَّ أَمْ أَعْلَامُ
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ يَمْصُرُ قُبُورَ مُلُوكٍ عِظَامُهَا آثَرُوا أَنَّ
يَتَمَيَّزُوا عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
بَعِيشُكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرَ
أَنَاقًا بِأَعْنََاءِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفَا عَلَى الْحَوِإِشْرَافِ السَّمَاءِ أَوِ النَّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهُ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ الشَّاعِرُ :

خَلِيلِي مَا نَحْتَ السَّمَاءَ بَنِيَّةً تَمَائِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرَ
تَنَزَّهَ طَرَفِي فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا وَلَمْ يَتَزَّهَ فِي الْمُرَادِ بِهَا فَكْرِي

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِلْأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْحَيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدٍ وَلَا أَطْنَابِ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْخُرَابِ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ حَتَّى
خَطَّ الْأَسْتَوَاءَ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَقْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ إِذَا نَضَبَ أَلْيَاهُ . قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلُ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاهُ
مِنْ جَنَةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تَرَعِ تَهْبٍ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاهُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنقة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنْ الْأَيَّامِ تَوَعَّلَ عَنَرٌ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالْغَنَمِ . وَقَصَدَهَا الرَّوَّابِيُّ وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . وَبَعْدَ
مِنْ حَيِّ عَنَسٍ . فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنْ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسَرَحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْعَى فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَلْبَحْثُ. أَفْطَسُ الْخَرِبِ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرُّ. يَثْلُبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَرَ. بَأْنِيَابٍ أَحَدٌ مِنَ النَّوَابِ. وَتَحَابٍ أَمْرٌ مِنَ الْمَصَائِبِ.
شَدُوقٌ شَدَقَمٌ. عَبُوسٌ أَدْعَمٌ. تَسْمَعُ الرُّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمْدَمَ. يَلْعَمُ الْبَرْقُ
مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ الْحِيلِ صَنْبُ الرِّاسِ. عَرِيضُ
الْكَتِفِ كَبِيرُ الرِّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحِيلُ رَامِحَتَهُ
فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ الثُّوقُ وَالْجَمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْأَيْمَنِ وَالْشِّمَالِ.
فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ.
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ. وَهُوَ
يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرُّ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
زَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْفَلَاحِ. يَا مُحْسٍ وَحُوشِ الْبَيْدَا. فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
بِأَسْكَ وَصَوْلَتِكَ. وَأَفْخَرْتَ بِهَيْبَتِكَ وَهَمَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ مَلِكُ
السَّبَاعِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمُطَاعُ. وَلَكِنْ عُدْ بِالْحَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا
كَمَنْ لَا قِيَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا مَهْلِكُ الْإِبْطَالِ. أَنَا مُبْتِمُّ الْأَطْفَالِ.
فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْفِكَكَ كَأْسَ
الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَجَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يَأْشُدُّ
يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعْفَرًا مِنْهُوْبًا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْإِدْمَاخِ مُضْوَبًا

شَرَدَتْ أَغْنَامِي وَلَمْ تَكُ عَلَيَّ أَنِّي هَزِرْتُ لَا أَزَالُ
 هَذِي وَعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شُرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ تَحْوِي تَبْتَنِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَفَاكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَضْبُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعَ الْبَرَدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرْخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرْخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمُ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الْمُتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّ
 الْجَحْمِ أَيْ الْقَلْبِيِّ . وَصَفَتْهَا أَنْ يُوضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ الْجَحْمُ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْيَبِّيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ أَسْتَوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقَهَا
 إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمَنْ قَائِلٌ بِحِلِّهَا يَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُّورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَرْبَابِهَا . أَلْوَجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ لِطَلَابِهَا . وَمَنْ قَائِلٌ بِحُرْمَتِهَا مُفْرَطٌ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شُرَابِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبِينَ التَّصَانِيفُ وَالْفِتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِحُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْحُمْرِ وَقَاسَمَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الإضرار بالعقل والبدن . إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات
 المؤدية إلى الجدل والفتن . وأما اشتقاق اسم القهوة (كما قال العلامة
 الفخر أبو بكر بن أبي يزيد في مؤلفه إثارة النخوة بحل القهوة)
 فمن الإقهاء وهو الاجتواء أي الكراهة . أو من الإقهاء بمعنى الإقعاد
 من ألقى الرجل عن الشيء أي قعد عنه وكراهه كل شيء والقهود
 عنه بحسه . ومنه سُميت الحنزة قهوة لأنها تُقهي أي تُكْرِهُ الطعام أو
 تُقعد عنه أو تُقعد عن النوم . وكان ظهورها وانتشارها على يد جمال
 الدين بن سعيد المعروف بالذنجاني . وكان متوليا لوظيفة تصحيح
 الفتاوى بعدن . وسبب إظهاره لها أنه كان عرض له أمر اقتضى له
 الخروج من عدن إلى براجم فأقام به مدة فوجد أهله يستعملون القهوة
 ولم يعلم لها خاصية . ثم عرض له لما رجع إلى عدن مرض فتذكرها فشربها
 فنفعته فيه . ووجد فيها من الخواص أنها تذهب النعاس والكسل
 وتورث البدن خفة ونشاطا . فلما سلك طريق التصوف صار هو
 وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناه . ثم تنابح
 الناس بعدن على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك
 من الحرف والصناعات ولم تزل في انتشار . قال بعضهم في وصفها :
 يا قهوة تذهب هم القتي أنت لحاوي العلم نعم المراد
 شراب أهل الله فيها الشفا لطالب الحكمة بين العباد
 فطبخها قشرا فتأتي لنا في نكحة المسك ولون المذاذ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَالَّذِينَ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالْأَسْوَدِ
قَالَ آخِرُ :

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَالْلَطْفُ قَدْ حَفَّ بِئِذَا مَا نَهَا
فَانْهَى لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ السَّاقِي بِفُجْجَانِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَانِهَا تَغْسِلُ أَكْخَادَنَا وَتَحْرِقُ الْهَمَّ بِبِرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَفِ عَلَى الْخَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِطُلَانِهَا
(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٣٣ إعلم أن فضل الأندلس ظاهرٌ. كما أن حسن بلادهم باهرٌ.
أشرافُ عربِ المشرقِ أقتحوها. وساداتُ أشرافِ الشامِ والعراقِ
ترلوها. فبقي النسلُ فيها بكلِّ إقليمٍ. على عرقٍ كريمٍ. فلا يكادُ
بلدٌ منها يخلو من كاتبٍ ماهرٍ. وشاعرٍ قاهرٍ. وقد أعادتْهم على الشعرِ
أنسابهم العريضة. ويقاعهم النضرة وهمهم الأبية. قال صاحبُ
الفرحة: أهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنسابِ والعِزَّةِ والألفةِ وعُلُوِّ
الهممِ وقصاحةِ الألسنِ وطيبِ النفوسِ وإيادِ الضميرِ وقلةِ احتمالِ
الذلِّ والسماحةِ بما في أيديهم والنزاهةِ عن الخُضوعِ وإتيانِ الدنيةِ.

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عَنَائَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحَيِّهِمْ فِيهَا وَضَبَطَهُمْ لَهَا وَرَوَّائَتِهِمْ .
 صَيَّنُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْهِنِ الصُّورِيَّةِ .
 تُرْكِيُونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهِمَّاتِهَا .
 بَعْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ وَرِفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَايَتِهِمْ
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
 وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاتِهِمْ لِمُضْرُوبِ
 الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِنِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهْمُ أَحْكَمِ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّعَبِ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدَقُ
 النَّاسِ بِالْقُرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ قَضَائِلِهِمْ
 اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي قَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمَوْشِحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَتَزَيَّعُونَ مِنْزِعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْهُمُ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوُّ طَبَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْآخِرَةِ
 الْمُسِيرَةِ تَقَرُّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُودَةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبِلَادِيَّةِ فَأَمَلُوا فِي الْبُؤَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

وَسَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَحْدَثُوا الْأَرْحِي
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادَهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغْلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَاسْتَوْطَنُوهَا . وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعُمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمُلْكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلُسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَائِعِ فَإِنَّهُمْ قَاقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَاجْتَمَعُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعَهُمْ وَمَتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَذَقِ وَالْتَجَوَّيْدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَاسْتِبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَبْطَأَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الرُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعَرُوضِ لِلْحَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَأَحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْإِحْتِيَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّيَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَلَّلَ لِلنَّظِيرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْعُرِمَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للمقري)

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلموا عبيده ثم قتلوه وملكوا عليهم جرام المرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتبكر كانه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى نينوى وكتب الى موريقي كتابا نصحت:

٣٢٤ لِلْبَابِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
ابْنِ هُرْمُزِ السَّلَامِ . اَمَّا بَعْدُ فَاِنِّي اَعْلِمُ الْمَلِكَ اَنْ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِبِيدِ اَيِّ جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَلَسُوا اَنْهُمْ عَبِيدُ وَاَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نِعَمَ اَبَائِي لَدَيْهِمْ فَاعْتَدُوا عَلَيَّ وَاَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ اَنْ اَفْزِعَ اِلَى
مِثْلِكَ فَاعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَاَكُونُ خَاضِعًا لَكَ . لِاَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا اَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي اَيْدِي الْعَبِيدِ الْمَرْدَةِ . وَلَآنَ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى اَيْدِي الْمُلُوكِ اَفْضَلُ وَاَقْلُ عَارًا مِنْ اَنْ يُجْرِيَ عَلَى اَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَزَعْتُ اِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً اَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُعِدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَاَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا اِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز غم على إجابة مسئلة لانه لما اليه فأنجده
بشرين ألفاً . وسير له من الأموال أربعين قطارا ذهباً وكتب اليه كتابا نصحت:

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
 غَمَطًا وَخَرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَخِصَهُمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَقَدْ أَخْلَانِي مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْإِسْتِئْزَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتِظْلَالَ بِكَتْفِهِ
 آثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْحِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَجَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ الْجُيُوشَ
 وَمِيرَ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَغْتَرِّكَ الصُّجْرُ وَالْهَلْعُ . بَلْ تَشْمَرْ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تُقْصِرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَنْحَطْتَ عَنْ
 مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْهِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرِجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لَا يَ الْهَرَجِ الْمَلَطِي)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ نَحَجْتُ
 مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبَيِّنَاتِ
 الطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

أَقْدِمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلِكُنِّي وَجْهَكَ لِمَا
رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْعَلِ
الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مِنْ تَعَامُ قَوْمٍ مُحْصُورُونَ . وَالسَّلَامُ
٣٢٧ (فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِنِي فِي الْخُرَاجِ . وَزَعَمُ أَيُّيَ أَغْدُدُ عَنْ الْحَقِّ وَأَنْتَ
عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ عَلَيْهِمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَخَصِيرٌ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
وَالسَّلَامُ (لجلال الدين السيوطي)

كتاب غنصة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقة

يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وغبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سُبُلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
نَفَرٍ مِنْ شَذَازِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا رَدَعْتُ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ
لَا ذَنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
فِي أُمُورِهِ بِالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ . (فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتُ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
سَيُضْجِعُ الْقَوْمَ مِنْ سِنْفِي وَضَارِيهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْتُهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

(فوجه غيبة باليتين الى الأعراب فابقي منهم اثنان) (لابن عبد ربه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتُهُ ذَبَلٌ وَذَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِنْغَالٌ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَشِمَتْ حَاسِدٌ. وَلَعِبَتْ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَا عِبَاءَ وَلَهُمْ مَخْرَسًا. وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فوقع في رفعة): أَنَا أَسْعَدَكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهِدْتُ وَمَنِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتُ. وَلَيْسَ مَنْ أَنْسَيْنَاهُ أَهْلُنَاهُ وَلَا مَنْ أَخْرَنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتَرْجِعَ عَلَتُكَ وَتَعْرِفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُخَصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أَعْطَى وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدٌ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيرَتِي. أَرَى بِبَقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. قُرَّةٌ أَتَوَقَّفُ بِوَقْفِ الْمُتَحِفِّ عَنْكَ

مِنَ الْمُؤْنَةِ وَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّمَةِ. وَالْمُتَمِّدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلْبَ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ. فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ. وَلَئِنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةٌ وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا. لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرَّاقَةً
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصَلَتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ.
 (فَصْلٌ): لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوُدَّ وَالْإِتِّمَامَ. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخْجِرَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 الْقِرَاسَةَ تَعْدِيهِ فِيكَ. (فَصْلٌ): قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِدَارِ
 وَأَعْتَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد الفريد)

كان الأمير عبد الرحمن قد جفا ابنه المنذر ونسده لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد
 وعدمت فيه من كنت أسئ إليه. وأصبحت مسلوب العز فقيد
 الأمر والنهي فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته وعليه
 مولاي ولم أعلمه فإني صابر على تأديبه صارع إليه عفوهُ وصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لَكَالْنَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ النَّهْرُ
 (فلما وقف الأمير على رُقعته أرجعه الى ما اعتاده)
 (للقرني)

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الحجة بستديعه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمَ لَيْلِ الْخَوَاشِي وَطِيءُ النُّوَاحِي وَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَّقَتْ. وَأَنْتَ قَطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تَفْرُدْنَا فَنَقِلَ. وَلَا تَفْرُدْنَا فَنَذِلَ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرِّي إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَجُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلَّهِ دَرْجَاتُهُ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِجَمِيَّاهُ. فَهُوَ أَفْقٌ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْنُكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ تَحْوِي الْبَابَ نَاطِرَةً وَقَدْ صَفَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَحْ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ تَمَلُّ مَسَرَاتِ أَلْهِنَا بِأَقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبْذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب الصاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوِّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ آبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذْنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْتِكَ كَعْقِدِ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَذْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لَتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَمَرِهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لَلَّيْلَا يَحْبُثُ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لآحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِعْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنْ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُوكَ شَافِمًا . (فَضْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرِ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النُّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَنَّى ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَضْلٌ) . إِنْ مَسَّلَتْنِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللَّوْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْئَلَتُكَ
مَا سَمَحَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِمَنْعِ مَعْرِفَتِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْتِنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا أَنْتَبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ .
وَصَبِرْنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لَطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربّه)
فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حِمَاكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَثْبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنَّ
يَقْضَى كَرَمُكَ إِنِّجَارَ وَعْدِكَ إِذَا كَانَ أَبْلَغَ الشُّقْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعُفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَش . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تَسْهَلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِهِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مَوْلَاكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعبه ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب إليه :
أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَتْنِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحُوفِ مَنَّا عَلَى مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأْيًا وَأَقْتَدَا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيًّا
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
 وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تُكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
 فَأَجْعَلَنِي إِلَى التَّلَعُّقِ بِالْعُذْرِ رِ سَبِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
 فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَمَا سَاحَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ فَبُغِ فِعْلُكَ . وَضَعْتُ هَجْرَكَ
 وَوَضَلْتُكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
 طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدْيِ لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
 هَيْئَةٍ . وَتَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَنْدَمَ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ . فَاحْذَرِ أَنْ تُدْرِكَنِي
 وَإِيَّاكَ عَمِيَاءُ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَانُ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءُ مُتَّبِعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
 الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرِ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْتَحِ بَابَكَ لَهُمْ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرُ أَنْ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَسَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْئَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ
 وَمَرْكَكِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَمِيَّةٍ

هُمَا فِي السَّمَنِ وَالسَّمَنِ حَتْفُهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسُ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه .

كتاب صلاح الدين الى مُعِزِّ الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ أَبَدَاءَ وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَيْفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلُكَ وَأَوْيَتِكَ وَنَصْرُكَ وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَاضِهِمْ . فَتَقَدَّزْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَه . فَأَتَّقَ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَمْتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَلَّتْ هَذَا الْقَلَقُ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحَرَكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصُرْ مَنْ تَتَّبَعِيَ إِلَيْهِ غَيْرِي . وَأَحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ الْفِتَاتُ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحْلَتَ عَمَّا عَمِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتُ مُلْكَافَتِهِ فِي كُفَيْكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةٍ أَلْ إِيْخْوَانٍ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعُ بِكَ
أَتَبْتَ كُفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعْيِكَ
(فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَهْيِكَ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَأَعِلهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِ فِي كُتُبِكَ
 إِنَّ يَكْ جَهْرُ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَقَدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 قَاعَفُ قَدَتِكَ النَّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوبة

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتَنِي عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالتَّغْيِيرَ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَآلِهِ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلَفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرُ سَفَرٍ أَوْ رَحِيلًا مِنْ دَارٍ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرَّحَالُ عَنْهَا لِغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

وَالْعَبْرَةُ حَلِيفُكَ . وَالْدَقْتُرُ الْيُفُكُ . فَإِنْ قَصَرْتَ وَلَا إِخْلَاكَ . فَتَعْرِى
خَالُكَ وَالسَّلَامُ (رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للحففاء في التوضيعة

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفْقِيدُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ قِيَدِمَ مُحْسِنُهُمْ وَيُؤَخِّرَ مَسِيئَهُمْ .
لِيَزِدَّاهُ هَوْلًا فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْجِرَ هَوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَضَّلْ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لَخُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَمُعِيدِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حِمَّةٍ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْقَةِ . (وَفَضَّلْ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَّةً وَسَمَلَتْ الرِّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِ وَذِيهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ .
وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِمْ مُوَيِّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالْتِمَاسِ .
مَوْضُولُ الْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المديح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَمْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُعْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَّاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقَ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقُتَّ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَتَحْنُ نُلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جَهْدُ التَّجْتِهْدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُؤُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أَتَجَزَّتْ فِيهِ عِدَّةُ الرُّأْيِ وَبُشْرَى الْفَرَّاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ
كِتَابُ ابْنِ مُكْرَمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَدِينِ

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّهِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لَا بَنَ عَبْدِ ربه)

فصول في التهنة والعديا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ

هِنَا بِالْعَافِيَةِ مُغْنِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَيْرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمْرِ
مَوْصُولَةٍ بِفَرَاغٍ مِنْ الشُّكْرِ . لَا يَقْضِي حَقَّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بَطْرَفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَا بِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لْمَهْدِي مَالَكَ إِلَيْكَ . وَرَزَعْتُ إِلَى مَوْدَتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتَهَا هَدِيَّةً لِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِيزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةِ زَانِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعُجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ تَحْوِكَ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْصَرَ نَاعَلِي هَدِيَّةً تَقْضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنَّبِطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَتَخْلِفُهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَلَهَا فَمُتْلَقًا بِهَا (د بن عبد ربه)

فصول في التمزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بَلَّغْنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ
غَمِّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَأَمُوتُ خُطْبُ ثَقُلَ
حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى
الْمُعْزِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :
فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمِشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي

وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ
لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمُفَاجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَذَعَةٍ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاقَاةِ
الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غاية لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَحَقَّ مِنْ تَعَزَّى وَأَوَّلَى مَنْ تَأَنَسَّ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ
اللَّهِ وَقَبِلَ تَأْدِيبَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصَ الْبَلَوَى
مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَاعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي
قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأَنْسَ مِنْ كُلِّ
فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَأَمُوتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْغَايِبِينَ وَمَوْرِدُ
الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَالِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ
الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فُجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّابِرِينَ عَلَيْهَا بِأَحْسَابِ الْآخِرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْهَازِنِينَ وَقُرْبَةُ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الرَّاغِبِينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب الي العناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجْرَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا حَاقَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَكْثَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَكْثَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى عليل

كتاب الي بكر الخوارزمي الى تلميذ له قد ظهر عليه الجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبَرُ الْجُدَرِيِّ فَقَالَ مَبْنِي وَهَجَّ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعَلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ فَطِيعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنَّمَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَتَعْمَرِي إِنَّمَا تُورِثُ سَوَادَ اللَّوْنِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا يَمُنْ خَاقَ عِلَّتِكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَاءَ أَذْوَامٍ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ هَلٍّ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأَ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيْبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بانه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّيْ
أُطَّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَصَنَّهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَفَّارَةً
وَأَخْرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِي لَوْ قُرْبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَخْتَمْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَفِّسِيكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ حَسْبِكَ . وَأُظِنُّ أَنِّي لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَّانِي
فِيكَ الْمُحْدُورَ وَكَهَالِكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ لَهُ

فصرن في وصاة للجاحظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتُهُ إِلَى طَلْبَتِهِ مِنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَ تَحْوِكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يَلِزُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَاقِفَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الثَّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلْنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدُنَا
مِنْ الدِّهَامِ مَا يَلِزُنَا مُكَافَأَتُهُ وَرِعَايَةُ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدِ
التَّمِيمِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْبُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَهَبٍ حَوْلَ الْمُرَايِ
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ نِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بِدِينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفَرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لِعِزِّهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ
إِسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
وَالْبَسْ لِسِرِّكَ مَا تُحْقِيقُهُ مُجْتَهِدًا
وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يَخْنِي صَدَقَهُ حَسَنًا
وَصَاحِبُ الشَّرِّ سَوَاءُ الشَّرِّ يَخْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقَضَاعَةَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
وَتَعَاطَفَتِ الْقَبِيلَةُ بَيْنَهُمْ وَاتَّسَعَتْ أَعْيَا الدَّيْرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم يفتقروا على الكثير تاريخهم. وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطلمنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد والثاني على سنة الوفاة. وان لم تر الا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة. وهو بحسب التاريخ المسيحي

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَحْجِدُونَهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ. فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 لَعْمَرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِتْنَانِي أَوْ أُسِيرُ
 أَأَنْزِلَ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسْرُ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بِأَسِهِمْ وَتَجَلَّتْهُمْ فَشَدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَأَبَدَوْهُمْ بِالْغَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمُ
 السُّيُوفَ وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا. فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةُ بَعْدَ قِتْلَةِ مُرْبِعَةٍ.
 وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ. وَامْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ.
 وَعَظُمَتْ مَنَزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَاسْتَهْلَوْا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ
 جَمِيلًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعَشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.

٣٥٩ (أَمْرُؤُ الْقَيْسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَضْمِيُّ: هُوَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
 ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبُ الْمُلَقَّةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ خَجْرُ
 أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ:
 فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: الْخَمْرُ عَلَيَّ
 وَاللَّعِبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً. وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةٍ
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غَلَامًا قَدْ تَرَعَّرَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْعَرَبُ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ إِبْرَقُ لَيْلٌ أَهْلٌ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزْعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ بِهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى زَلَّ بِكَرٍّ وَتَغَلَّبَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَعَثَ الْعَيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعَيُونِ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَيُوْأَسِدُ جَاثُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرْحَى
وَأَقْتُلَى فِيهِمْ . وَحُجِرَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَغَلَّبَ أَبُو أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُومٌ . وَكَرِهُوا قَاتِلَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفَّرَ بَيْنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَأَلَحَ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْ يُشِيرَ وَأَنْ يُجِيشَ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
غُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكْكِ الْمَرَارِ حَتَّى زَلَّ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يُتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَالُوا
لِشِوَاعِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْجَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكْكِ الْمَرَارِ . فَاسْلَهُمْ وَجَمَا
أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَنُو هِنْدُ بَنَاتُ أَمْرِ

الْقَيْسِ وَالْأَذْرُعُ وَالسَّلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُو بْنُ جَابِرٍ بْنُ مَازِنٍ
 الْفَزَارِيُّ : يَا ابْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
 بِمِثْلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قِصَرَ وَجِئْتُ
 النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرَ لَصِيفٍ نَازِلٍ وَلَا لِعُجْدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
 مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَنِيَاءُ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
 يَمْنَعُ ضِعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
 كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :
 وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُقَاخِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
 فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمِلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ فِي عَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
 عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبِقِ
 وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَرْزَلَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
 مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمٍ
 الْفَسَّانِيِّ بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قِصَرٍ . فَأَسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَدْعَى عِنْدَهُ
 الْأَذْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
 حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قِصَرٍ قَبِيلُهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
 مُسْتَخْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قِصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
 فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قِصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
 أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَفْزُوكَ يَمْنًا بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قِصَرُ

حَيْثُ بِحُلَّةٍ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٍ مَسْجُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
إِلَيْكَ بِحُلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسْهَا
بِالْيَمَنِ وَأَبْرَكْهُ . وَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
لَبَسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ الشَّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسَمِيَ ذَا الْقُرُوحِ (الْأَغَانِي)

٣٦٠ (عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زُرَّارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَفْغَعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ
حَتَّى إِذَا حَقَّ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانُ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَّابِ الْفَارِسِيَّةِ .
فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكُتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِم بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشَّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ
بِالنِّشَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَّةِ . وَتَعَلَّمَ لَبَّ الْعَجَمِ عَلَى الْحَيْلِ
بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ أَثْبَتَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانِ فَكَانَ عَدِيُّ
أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيْوَانِ كِسْرَى . يُؤْذَنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
وَهُوَ مُجِبٌّ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَقَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
النُّذِيرِ عَلَى الْخَيْرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الدَّانِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
اسْمُهُمَا أُمِّيٌّ وَعَامِرٌ فَافْكُرَهُمْ وَأَجَزَلَ صَلَاتَهُمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَأَوْلَاهُ
مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَجَسَّهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشَّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى التَّصَيُّحَةُ بِالْمَغِيبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ يَا أَبَتِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَلْ بِمَنْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ الْخَيْبِ
يُيَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَشَنَ خَانُهُ خَرَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُقَلِّبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كِسْرَى :

وَتَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ انْقَسَوْا بِعَلَاقٍ
يَا أَبَا مُسَهَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَخْنَ الْعِرَاقِ
أَبْلِغْنَا عَائِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوتِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغِلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خِلَاقٍ
فَازْكُبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُفُوا أَخَاكُمْ إِنْ عَيْرًا تَجَهَّزْتَ لَا تَطْلُقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كِسْرَى فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكُتِبَ إِلَى النُّعْمَانِ بِأَمْرِهِ بِإِطْلَاقِهِ . فَاتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِي فَأَعْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ الْإِصْبَهَانِي)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدي الى كسرى سكت اشهرًا
على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوَّع حتى آتاه كتابه أن أقبل فإن
للملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب
وليس احد منهم يقبله خوفاً من كسرى . فقال له بعض أصحابه : عدي رأي لك كنت أشير
به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل امر
يحمل بالرجل ان يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل أحد . ولأن
تكرماً خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حاتم الطائي ٦٠٥). هو ابن عبد الله بن سعيد الطائي .
 وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَبَقِيَ السَّيِّئُ وَيَحْمِي الدَّمَارَ
 وَيُفْرِى الضَّيْفَ وَيُسَبِّحُ الْجَانِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّامِعَ
 وَيُفْشِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
 أَعْرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثَا
 نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَهْبَ . وَإِذَا
 سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
 يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
 أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
 عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ نَحَرَ عَشْرًا مِنْ الْأَيْلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
 ٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 الْقُتَيْبِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةً مِنْ
 رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُنْشِدُ
 فِي أَثْنَائِهِ الشَّعْرَ الْمُلْحِجَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْقَى نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَمَّا إِنْ صَفَحَ عَنْكَ فَعَدْتَ مَلَكًا عَزِيزًا . وَأَمَّا إِنْ
 أَصَابَكَ فَلَمَوْتَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَلَبَّسَ بِكَ صَعَالِكَ الْعَرَبِ وَيَخْطِفَكَ ذُنَابَهَا وَتَأْكُلَ مَالَكَ
 وَتَعْبَثَ فَقِيرًا مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَقْبُورًا . فَضَى إِلَى كَسْرَى حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَلَغَ كَسْرَى أَنَّهُ
 بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَعَبْدَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَعِينٍ كَانَ لَهُ بَخَائِفٌ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
 الْكَلْبِيُّ : لَقَدْ نَجَّحَتْ أَرْجُلُ الْقَيْلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بِحَيْنِ (الانثاني)

وَرَيْنَا الْمَجْدَ عَنْ كُبْرَى زَارٍ فَأَوْرَثَنَا مَا ثَرَانَا بَيْنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمَتْ مَعَدٌ أَقْنَانَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا عَدُوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
يَا أَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَعْبٍ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّمِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ خُطُوبُ فِي الْعَشِيرَةِ بَنَاتِنَا
وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشْرِدُ بِالْخَافَةِ مَنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
لَسِيرٍ يَمْشِي قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا تَجَلَّى بِنُصْرِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَيْضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِرُضْفِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي نُشِرُهُ يَتَّقُ مِنْ طَيْبٍ مَعَانِكَا
دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكََا

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ الْأَسْبَغِيَّ صَدِيقَهُ :

خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ أَطْلَاقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الشَّاءُ
قَالَ الْأَسْبَغِيُّ : لَمَّا رَضِ أُمِّيَةُ الْمَرَضُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرْضَةُ مِثْلِي فَلَمَّا دَنَتْ وَقَاتَهُ أَغْمَى عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيْكََا لَبَّيْكََا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكَمَا . لَا مَالَ لِي
يَفْدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ:
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَاحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا يَزُكُّ بِالنُّوَيْ)
٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَلْحَةَ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ يَمُنُّ أَذْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَقَدْ أَكْرَمَ مَا تَرَى الْعَرَبُ وَأَشْعَارَهَا فَاتَّفَقَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ:
يَا أَخَا تَيْعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَأْتُ أَنَّكَ تُحِيدُهُ فَأَنْشُدُهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَنْ مَبْلَغُ قَوْمِنَا النَّائِبِينَ إِذْ سَخَطُوا أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقُ وَلِغُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ: تَاللَّهِ تَفَنَّا تَذْكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيْثُ وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَجْسَبُكَ جَبَانًا هَرَابًا . قَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدُّ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْذُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: وَأَيُّ كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ: خَرَجْتُ فِي صِيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ دُويَ حَيْةٍ

وَسَارِدَةٌ حَسَنَةٌ تَزِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَانِيَا وَتَحْنُ زُرَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمٍ
الْفَسَّانِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةٍ أَلْفَيْطٍ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشَّفَاهُ وَسَالَتِ الْيَاهُ . وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاهُ الْمَغْرَاهُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي صُوبِ هَذَا
الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَأَ لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمُ الْغُلْلِ . أَشْجَارُهُ مَغْنَمَةٌ
وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوَحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ . فَأَصْبَنَّا مِنْ
فَضْلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا هَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَا طَلَّتْهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدِيهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْثَ أَنْ
جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْخَيْلُ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَهَمَّقَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ تَأْيِيهِ
بِشْكَالِهِ . وَنَاهِضٍ بِعَقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ آتَيْنَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ قَفْزِعَ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَأَسْتَلَّهُ مِنْ جَرَابِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا زُرْدًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَظَالَعُ فِي مَشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بِضَدْرِهِ نَحِيطٌ . وَلِبَاحِمِهِ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ . وَلَا زَسَاغَهُ نَقِيطٌ .
كَأَنَّمَا يَخِيطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةٌ كَالنَّجْمِ . وَخَدٌّ كَالْمِسْنِ .
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَقْدَانِ . وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
يَحَابٍ كَأَلْحَاجِنِ . فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَارْهَجَ . وَكَشَرَ فَافْرَجَ عَنْ أَنْبَابِ
كَأَلْمَاعُولِ مُصْفُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْعَى فَاقْشَعَرَّ ثُمَّ مَثَلَ فَانْكَهَرَّ . ثُمَّ
تَجَهَّمَ فَازْبَارَ . فَلَا وَدُو بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَارَةٍ
كَانَ صَحْمُ الْجَزَارَةِ . فَوْقَصَهُ ثُمَّ نَقَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَقَ فَمَتَّيْهِ فَجَعَلَ

يَلُغُ فِي دَمِهِ . قَدَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْلَجَ رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا فَفَضَّه
نَفْضَةً تَرَأَيْتَ مَفَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَقَرَقَرُمْ زَقَرُ فَبَرَّ . ثُمَّ زَارَ فَجَرَ .
ثُمَّ لَحَظَ قَوْلَ اللَّهِ لَحَلَّتْ الْبَرْقُ يَطَّأِرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبَيْنِهِ .
فَارْعَشَتْ الْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَرَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
بَعَثَ مِائَةَ سَنَةٍ يَنْفِي وَدُفِنَ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الْإِغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَائِي ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْمَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَكَ مِنَ الْقَطَائِي
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُجِيلُ لَا يُطِي الشُّعْرَاءُ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَا مَدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتُ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَفَرًّا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِلْحَارِثِ بْنِ عَتَابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ ثَعْلَبٍ اسْتَعَرَّ بِهِمْ
الْقَتْلَ وَأَصِيبَ أَكْثَرِهِمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَائِي . وَأَخَذَتْ إِلَيْهِ
فَاتَى الْأَمِيرَ زُقَرُ فَخَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَائِي يَمْدَحُهُ :
يَا زُقَرُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ قَدْ كُنْتُ فِي الْحَيِّ قَدِيمُ الْمَقْدَمِ
إِذَا تَجَمَّ الْقَوْمُ وَلَمَّا تَجَمَّ إِنَّكَ وَأَبْنُكَ حَتَمْتُمْ تَحْرِمِي

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْفَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَأَخْلِلْ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا يَشْعُرُكَ شَعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيْبَا تَأَقَّاهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ . قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ . قَالَ : وَمَا قَالَ . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَّائِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ :
 إِنَّا نَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطِّلُّ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَّةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْنُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْقَلُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَجِلِ الزَّلُّ
 حَتَّى آتَى عَلَى آخِرِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : ثَكَتِ
 الْقَطَّائِيُّ أُمُّهُ . هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ . وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ :
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَا أَخْطَلُ اللِّسَانَ . فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَحَلَّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ . وَهُوَ وَجِرٌ وَأَقْرَزْدَقُ
 طَبِئَةٌ وَاحِدَةٌ . سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةُ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : مَا سَأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرًا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لِحُرَيْرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا أُجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِقِرَائِصٍ
 وَأَمْدَحَ النَّاسَ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ حُرَيْرٌ ثُمَّ الْقِرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبُّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّائِنَةِ لِحِمَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَ الْقَطِينُ قُرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكُرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَطَّأُولُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَنَحَكَ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْفَيْ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَرَ لَهُ بِحُضْرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَلَسَتْ
 دَرَاهِمُ وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ خَلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يُحِبُّ عَلَيْهِ جُبَّةُ خَزٍّ وَفِي عُنُقِهِ سَيْسِلَةٌ ذَهَبٍ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٍ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوَّيْتُ بِالْمَدِيحِ
 نَفْسِي فِدَاءً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى التَّوَّاجِدُ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَارِثِضِ الْعَمْرَةَ أَلْيَمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَمِيدَ نَيْمٍ وَنَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَمِيدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ نَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَّوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعِذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ .
فَكُنْتُ أَعْلُوفٌ فِي كَنَائِسِهَا وَسَاجِدٌ فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبِرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنْ أَلَمَسَ حَبْسِي هُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيُخْلِيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلَمَسًا فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَبَ وَعَظَمَ . فَقُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْلِي عَنِّي . قَالَ : أَعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكَبِّرًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَارِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدَرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَلَسْتُ خَذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٩٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ اسْتَفْ نَجْرَانُ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصَرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ يَسُوقُ عَكَازَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ قَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلُ
دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَرْجَاجٍ . بِحَارُ تَرْخَرُ . وَنُجُومُ تَزْهَرُ . وَضَوْءُ وَظَلَامُ .
وَبَرٌّ وَأَنَامُ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَزَكُوا فَتَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطَرَنِي لِمَنْ
أَذْرَكَهُ فَاتَّبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِ نَ مِنْ الْأَرْوَنِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وخنين الحيري من فحول المفتين . وله صنعة فاضلة
منقمة . ومنهم قيس بن زهير تصدق قبل وفاته . ومنهم ابو قابوس والرباب بن البراء . وقال
للقيصري . وقد ذكرهم جميعاً صاحب الاغاني . ومنهم ابو اللجج المماني ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي ورتاؤه للثني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطيب .
ومنهم سليمان بن ابي اعليل — المارديني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني : لكاثوليكي وله القصائد الطنانة . ومنهم السيد جرمافوس فرحات والخوري
ينقولوا الصانع وغيرهم ممن يستغني بشعرهم عن ذكرهم .

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي مَخْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَارَ (*)

٣٦٧ (إِلَى الثَّالثِ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحُدَيْثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخُلُقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِيَّاتِ قَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانْتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِائِلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكَرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ فَطْرَكًَا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ... وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْخَيْرَاتِ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بينا أنا يجيل يقال له سماع في يوم شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وقبرين بنهما مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فامخذتُ بنهما مجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحقهما. ثم ذكر آياتها
فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَد رَقَدْتُمَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوِدٍ هَذِهِ	وَلَا يُخْزَاوِي مِنْ نَدِيمٍ سِوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ جَرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَبْقَى الْمَقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمَا كَيْفَا تَحِيبَا وَتَنْطَقَا	وَلَيْسَ عَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دُحَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحِيبَانِ دَائِمًا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بِأَنِّي لَا مَحَالَةَ هَالِكُ	وَأَنِّي سَيَمُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
سَأَبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدِي عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا

مَا رَى الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
يُحَسِّنُ الْخُلُقَ وَالْحَلَقَةَ سَخِيًّا بِأَمَالٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرِّيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرِسَالٌ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَرَّ الْكُرْسِيَّ تَذْيِيرًا
حَسَنًا وَاسْتَبَاحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيَعِزُّهُمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
أُرْوِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَابِ
بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَعْمَلِكُمْ عَلَيَّ مِنْ الْأَتْرَابِ
(ملخص عن كتاب المجدل لعرو بن متى) (*)

مشاهير أطباء النصرانية

٣٦٨ (جيورجيس بن بختيشوع ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَدْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتَمْرَأَ وَقَلَّ شَهْوَةٌ
وَكَلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضَهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيورجيس بن

(٥) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
ومنه يوسف بن أيوب الصمداني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جاقولا . ثم انقطع الى الله وتصر بالقيبطية

بِخَيْشُوعِ الْجَنْدِ سَابُورِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
 الْعَامِلُ بِجَنْدِ سَابُورٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِخَيْشُوعِ
 بِالْإِسْجَارِ سِتَانِ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ تَلْمِذَهُ عَيْسَى بْنُ شَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
 بَغْدَادِ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْقَارِسِيَّةِ
 وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حَسَنِ مَنْطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
 جِيورْجِيسُ : أَنَا أَذْبَرُكَ بِمِثْلَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
 جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرِّيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجْمَلٍ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
 كَمَا يَكْرُمُ أَخَصَّ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَذَلْ جِيورْجِيسُ يَتَلَطَّفْ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
 حَتَّى يَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَفَرَحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
 يُجْعَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيورْجِيسُ . فَلَمَّا
 اتَّصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
 لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
 دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسَنَ مَوْضِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
 مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعِفَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيورْجِيسُ مَرَضًا صَغِيرًا وَلَمَّا
 اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِجَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَةِ . وَخَرَجَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ
 وَتَعَرَّفَ خَبَرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
 الْإِنْعِرَافِ إِلَى بَلَدِي لَا أَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ فَبُزْتُ مَعَ آبَائِي .
 وَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعْتَاذُنِي . فَقَالَ جِيُوزَجِيسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَيْنَ يَدَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَا هَرُ . فَأَمَرَ لَجِيُوزَجِيسَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْإِنصِرَافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَجِلهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْثُ شُوعُ بْنُ جِيُوزَجِيسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحِقَهُ . فَقَالَ لِيُحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ . هُوَلَاءُ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَلْبِغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْثُ شُوعُ بْنُ جِيُوزَجِيسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حَمَلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَعْبَهُ بِمَا لَمْ يَأْوَفِرْهُ وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْثُ شُوعُ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْثُ شُوعُ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمَهُ وَأَحْسِنُ إِلَيْهِ قَالَ بَحْثُ شُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أُنْبِيَائِ جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْ نَبِيَّ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُحْقِيهِ . فَدَرَّهُ فِي مُدَّةٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَرَأَى فَأَحْبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُذَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ اُشْتَهَرَ
حُذَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيُّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قِبَالِ شَتَّى أَجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَوَاهَا بَظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَاسْمُوا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَبِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنَاسِبُ إِلَيْهِمْ
خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
حُثَيْنٍ صَيْدٍ لَا نِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُثَيْنُ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَلِيلَ
أَبْنُ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُونُسُ
الطَّبِيبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَحْتِشُوعَ فَوَجَدْتُ حُثَيْنًا
وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطِبُهُ بِالتَّحْيِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرُّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَبَيَّنَّ
ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا أَتَقِي .
فَوَاللَّهِ لَئِنْ مَدَّ لَهُ فِي الْعَمْرِ لَيَفْضَحَنَّ سِرَّ جَيْسَ . وَسِرَّ جَيْسٍ هَذَا هُوَ
الرَّأْسُ عَيْنِي الْعَقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السُّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
أَمْرُ حُثَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَاوِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي الثَّقَلِ وَالتَّهَاسِيرِ حَتَّى
صَارَ يَتَّبِعُونَ الْعُلُومَ وَمَعْدِنَا لَلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَدِيدًا وَأَحَبَّ امْتِحَانَهُ .
فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُثَيْنُ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا زَيْدَ قَتْلِهِ . وَلَيْسَ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا. فَقَالَ حُثَيْنٌ: مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَذْوِيَةِ
 النَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا. ثُمَّ رَغِبَ وَهَدَدَهُ
 وَأَخْضَرَ سَيْفًا وَنَطَعًا. فَقَالَ حُثَيْنٌ: قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكُفَايَةُ. قَالَ الْخَلِيفَةُ: فَإِنِّي أَقْتُلُكَ. قَالَ حُثَيْنٌ: لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
 حَقِّي غَدًا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ. فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ: طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّا أَرَدْنَا أَمْتَحَانَكَ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ. فَقَبِلَ حُثَيْنُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ.
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
 الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَالَيْنِ. قَالَ حُثَيْنٌ: شَيْئَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ. أَمَّا
 الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَائِنَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ.
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ أَبْنَاءِ الْجَنَسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ.
 وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيْمَانٍ مُغْلَظَةٍ أَنْ لَا
 يُعْطُوا دَوَاءً قَتَالًا لِأَحَدٍ. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ. وَأَمَرَ بِالْجُلْعِ
 فَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا فِي الْفَرْجِ الْمَلْطِي)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ ٨٣٠-٩١١). هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ
 ابْنُ إِسْحَاقَ الْعِبَادِيِّ الطَّبِيبُ الْمَشْهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطِّبِّ. وَكَانَ يُلْحِقُ بِأَبِيهِ فِي النَّقْلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَفَصَاحَتِهِ
 فِيهَا. وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِلُغَةِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ. إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيْبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَوْجَدُ مِنْ تَعْرِيْبِهِ لِكُتُبِ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُيَيْدٍ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُتَعَصِّدِ بِاللَّهِ . وَاتَّخَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِذَا الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ كَانَ يُطْلَعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا يَبِيهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمُفِيدَةُ فِي الطَّبِّ . وَحَقُّهُ الْهَاجِ
 فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانَ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَّ كَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسُويَةَ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسُويَةَ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَلَاهُ الرَّشِيدُ رُجَّةُ الْكُتُبِ الطَّيِّبَةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعَظَّمًا
 بِبَعْدَادَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَقْدُ مَجْلِسًا لَانْظِرَ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ . كَانَ
 يُدْرِسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذُ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دَعَاةٌ شَدِيدَةٌ
 يُخَضِّرُهُ مِنْ حَضَرٍ لِأَجْلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى الْكَثَرِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَجْتِيشُوعَ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تُخْرِجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فِيمَا حَفَظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتَدْ الْقَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسِبُكَ أَعْتَدْتَ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أَمْكٍ (لَا بِي الْفَرَجِ)
 ٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِذِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنُ التَّلْمِذِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّيِّبُ الْمَلَقُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحِكْمَاءِ مُقَصِّدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِفَرَاطٍ عَصْرِهِ

وَجَالِي نَوْسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِ
 الْمُنْظَرُ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْفَحْلَى وَالنَّجْتَى لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ أَلْهَمٍ عَالِي الْهِمَّةِ ذِكْرُ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفَكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسُهُمْ وَرَيْسُهُمْ . وَلَهُ فِي النَّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ بَيِّنَةٌ وَغَزَارَةٌ بَيِّنَةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْثُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَتِّحًا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّكِ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعَلَمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحَادِ الزَّمَانِ هَيَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجَذَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجَذَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شُعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَةٌ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 يَتِيهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنَزَلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ التِّيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَادُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُ لَا يَشْعُرَا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقَنِّهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَقِي نَقِضِ .

قَدْذَا بِالْتَوَاضِعِ فِي الثَّرِيَا وَهَذَا بِالتَّكْبِيرِ فِي الْحُضِيِّ
وَوُفِي ابْنِ التَّلْمِيذِ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عَمْرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلِابْنِ التَّلْمِيذِ فِي الطِّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلَيَّاتِ ابْنِ سِينَا (الْحَرِيدَةُ لِلْعَمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ) (*)

مشاهير المورخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصارية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلْطِيِّ ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيبُورِ يُوسُفُ
أَبُو الْقَرَجِ بْنِ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مُحَلِّلُ الْمَشْكِلاتِ الْخَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحِيدُ
النَّصْرِ وَقَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَتَفَرَّدَ بِالطِّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) وممن اشتهر أيضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين.
ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون. ومنهم ابن الفطار متطبب القاهرة. ومنهم كتيّفات
خدم البساسيري. ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز. ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة. ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وزير قلم
ارسلان. ومنهم يعقوب بن صفلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وطلبه
وارتفعت عنده حاله. ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيذاقون أخيراً الجاثليق ابن
المسيحي. ومنهم صاعد بن توما البغدادي اللقب بأمين الدولة استوثقه الامام الناصر

(*) وأخبر في تاريخه قال: في سنة أربعين وسبعمائة (١٢٤٣) لما سمع أهل ملطية ما
فعل التاتار بفسارية هلموا وجزعوا أفحش الخزع طالين حلب. فأمسك والذي عن الخروج
واجتمع بالمطران دينوسيوس وفتاورا في مرابطة المدينة. وجما المسلمين والنصارى في البيعة

المغرب . وأقيم أسقفاً على مدينته ملطية وأخذ عنه كثير من فضلاء
المسلمين . ومن تصانيفه كتاب تاريخ مختصر الدول وهو من أشهر
الآرايح وشرح قانون ابن سينا وبقرائط وديوسقورس وكتاب دفع
أصم وديوان شعر في الإلهيات وغيرها (*)

٣٧٥ (تأيت بن قرّة ٨٣٦ - ٩٠٢) . أبو الحسن بن كرايا الحاسب
كان في مبدأ أمره صيرفياً بجران ثم انتقل إلى بنداد . واشتغل
بعلوم الأوائل فمهر فيها . وكان الغالب عليه الفلسفة وله تأليف كثيرة
في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً . وأخذ كتاب أفايد من الذي
عربه حنيز بن إسحاق العبادي فهدّبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستغيباً .
وكان من أعين عصره في الفضائل . وجري بينه وبين أهل مذهبه
أشياء أنكروها عليه في المذهب . فراقعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه
مقالته ومنعه من دخول الهيكل فتاب ورجع عن ذلك . ثم خرج من
جران ونزل كفرثونا وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد بن موسى من

الكيرة وتحالفوا أن لا يجنّوا بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم لهم من مدارة
التأثير والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فظفر الله إلى
حسن نيّاتهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا إليها . وفي إحدى
وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورتوين بلد الشام واجتاز بملطية وحرب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطلب طبيباً يداويه عن مرض عرض له . فخرج إليه والدي وسار معه إلى
حرث برت فدبره حتى برأ . ثم جاء ولم يطيل المقام بملطية ورحل بنا إلى أنطاكية فاسكنّاها .
(*) وروى النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العبد
مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الرامب وإبر البركات وابن المسيحي وكثيراً ما يشهدهم
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن متى (١٣٦٠) ينقل عنه اليلامة السيماني

بِلَادِ الرُّومِ . فَاجْتَمَعَ بِهِ فَرَّاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَرْزَلَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . رَتَّبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ
 بَلَغَ رَتْبَهُ أَبِيهِ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالَجَ مَرَّةً السَّرِي
 الرَّفَاءَ الشَّاعِرَ فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَبِيبٍ :
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةٍ شَافِي بَعْدَ الْإِلَهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْعَدِيدِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٥٢٤٦) (٨٦٠م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِيُّ . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِيِّ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصْرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشَهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطَّوْلَى بِمَعْلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَقِنًا عَالِمًا بِالطَّبِّ وَالنَّاطِقِ وَتَأَلَّفَ الْخُونِ
 وَالْمُنْدَسَةِ وَالْمِثَّةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأَلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ اشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى سَمَوْهُ فَيَأْسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرَ الْقُسْطَا بْنِ
 لُوقَا الْفِيلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَتْسَابِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدْ فِيهَا اعْتِرَاضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْأَهْلَبِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ الْبِيرُونِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٧ (الصَّائِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنُ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيُّ الصَّائِي صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِخِيارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَلَّدَ دِيوانَ الرِّسَالِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تُصَدَّرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلَهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ اعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِي . فَقِيلَ لِعَضُدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّائِي دَخَلَ عَلَيْهِ قَرَأَهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّعْلِيقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّبْيِضِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أَنْفُسِهَا
 وَأَكَاذِيبُ أَلْفُفِّهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَتُهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعِدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ (*) (ابن خلكان

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نستغني بذكر بعضهم ففهم ابن
 المقفع الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدررة القيمة ومعرب كتاب كيلة ودمية
 ومنهم زكريا الافريجي المنطقي تزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرَّبَ كُتُبًا كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قزما المنشي . ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
 العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب . ودافع
 عن اكرام الصور فردت له المذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الازوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألف عدة تأليف فلسفية ولاهوتية فلُقِّبَ بهجري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب ثوما

أَلْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الإسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نَسَبَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمِّ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِينَ لِلْإِسْكَانْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سِتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ آمَنَةً بِنْتُ وَهَبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَقَّيْتُ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِحَاطَتِهِ وَصَّمَهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا زَلُّوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَخْلُلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعَشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَمْرَاءُ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ أَسْمَاهَا خَدِيجَةُ أَنَّ
يُخْرِجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا وَعَمَرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَقَّيْتُ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عُمُهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشُ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهَاجَرَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَتَرَبُّ . وَفِي (الْسَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
 إِحْتِفَالُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَتَصَرُّوهُ عَلَى الْمُصَيِّينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
 مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةٍ بَدْرٍ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
 وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
 الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
 إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فَرَضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
 خَرَجَ إِلَى غَزَاةٍ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَنُجِّىَ فِي وَجْهِهِ
 وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (الْسَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النُّضَيْرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
 إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا أَجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلَاقَاهُمْ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
 أَمْرَ يَخْفَى خَنْدَقٍ وَبَقُوا بِضْعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
 وَفِي (الْسَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ
 مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (الْسَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
 الْيَهُودِ وَيُنْقَلُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَاجَلَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ
 مِحْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الْثَامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْقَنْعَرِ فَفَتَحَ مَكَّةَ وَعَهْدَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ لَا يَمْشُوا فِيهَا إِلَّا آمِنًا قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَعْلَقَ
 عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
 يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
 (الْسَّنَةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَدَكَ وَمرضَ وَتُوِّفِي
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَتِيمَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمرُهُ ثَلَاثًا وَبِشْتَيْنِ سَنَةٍ . وَلَمَّا
تُوِّفِي أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ .
وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حَجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُضَ . (*) (لَا فِي الْفَرْجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٣ - ٦٦١)

خلافة أبي بكر (٦٣٣ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللفظ . فلما أشفق
عمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر : ابسط
يدك فإني أبكيك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولما بويع أبو بكر ضرب
عُتَا على أهل المدينة ومن حولهم . وأمَّر أسامة بن زيد فقال له الناس : إن هؤلاء جُلُ الْمُسْلِمِينَ
على ما ترى نجم فيهم التفاق وانتفضوا بك . فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .
فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تعطفني لأنفذت بعث أسامة إلى الشام .
ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم . فاشمئزهم وشيعهم
وهو ماش وأسامه راكب . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله لتركب أو لأتزلن . فقال :
لأتزلن ولا أركب وما علي أن أغبر قدي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غالب على صنعاء ومقازة حضرموت إلى عمل الخائف إلى البحرين .
وَدَّعَى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق . فبعث أبو بكر رجالًا
لمحاولته أو مُصاولته . فدخلوا على أزد وهي امرأته فقالوا لها : يا ابنة العم قد عرفت بلاء هذا

(*) وصفه علي بن أبي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر
مطيل الصمت لا ينفر أحدًا . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير ضخيم الراس كث اللحية مشربًا وجهه
حمرة وقيل : كان ادعج العينين بسط الشعر سهل الخدين . واختلف في أزواجه قال أبو الفداء :
تزوج بخمس عشرة امرأة وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبراهيم ابنه فإنه من مارية
القبيلة التي بعث بها الموقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أبيها بثلاثة أشهر .

الرجل عند قومك قتل أبائك وطأطأ في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم فهل عندك من مالا
عليه . فاجابت أزداد اقولهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو
ينطأ فألحمه بيمسلة وأمرها الشفرة على حلقه . فنار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وم
حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قتل الأسود وأراح الله
الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس

(الآداب السلطانية للفخري)
ثم ظهر مسليمة الكتاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد
له بالرسالة . وكان يجمع لقومه باجماع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بخناق يزعم أنها معجزات
خيعة منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى عمارته . وكان بينها وقعات
واشدت الحرب بين الفريقين . واقحم المسلمون باجماع الى مسليمة وأصحابه . فقاتلهم حتى
احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسليمة فرماه بحجرة فوقعت على
خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً (للطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلماً . وكان ذلك
أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبيدة بن الجراح في زهاء
عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه
اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارهم . وكتب أبو بكر الى خالد
عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم
بأجنادين فاهزم الروم . وقتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه . فركبه
غلامه فسقط فركبه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي
سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني
خاوند من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو
بكر . فقام بعده بجلب سبته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة بالبسر وفتح
الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون
الدواوين ومصر الأمصار وشهد بداراً . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس .
وهابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن
له همّة الا العراق . فمقد لأبي عبيد بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق
خبر واليهما . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا بهران قائدهم . فانهزم العجم لاحقين بالمدائن . ثم ولى
يزدجرد عظيمًا من عظماء مرازبه له سنٌ وتجربة يُقال له رسم . وعقد ايضا رجله آخر يسمى
الهرمزاني في جنود كثيرة . وعند الالتقاء قتل هذان المزيانيان ومرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركها منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالد دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأتهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعلبك . وعلى يد عمر اتى
الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر غزة وفتح الإسكندرية صلحا . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كله بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه واقامه وتواضعه يسير منفردا
من غير حرس ولا حجاب . لم تنبه الإمرة ولم يستطع على مسلم بلسانه . ولا حادى احدا في
الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يباس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء
لخمس بقية من ذي الحجة . وقته أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثا وستين سنة . وكانت
خلافته عشر سنين وستة اشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النخعي النصراني
كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب
اليه عمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعدامها . فشرع عمرو في تفريقها على حمائم
الاسكندرية واحرقها في مواقد ها . فاستيقظت في مدة ستة اشهر (لابن العسدي)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بويج له بالخلافة في أول يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وانفتحت في ايامه أفريقية وغزاهما وفتحها صلحا . وانزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمه . ثم ان الناس أنكروا على عثمان اشياء منها كلفه
باقاربو . فنهت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا قريشًا من المدينة . وبعثوا الى عثمان
من يشعبه ويقول له : إما أن تعزل او تعزل

وكتب عثمان اليهم كتابا يقول فيه : اني انزع عن كل شيء أنكرتموه وأتوب الى الله .
فلم يقبلوا منه ثم استند عليه الحصار عشرين يوما حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط
عثمان فضربه اعدام بمشقص في اوداجه . وقتله الآخر والصصف في حجره . وكانت خلافته
اثنى عشرة سنة . وعمره ثيف وثمانون سنة (للدويري)

علي بن أبي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتل عثمان اجتمع طلبة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا طليبا بيانيونة

فأبى . وقال : أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون اميراً ومن اخترتم رضيتُ . فالتحقوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقّ منك حتى ظنوه في ذلك . ثم أدّى الزبير بن العوام وطلحة الإكرام بعد ذلك وقالاً على نقض إمارته عليّ . فلحق عليّ بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسببت هذه الوقعة وقعة الجمل . ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج عليّ من الكوفة واقتتلوا قتالاً شديداً في صيفين . ثم تهادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن الجهم على قتل عليّ وكنّا له في المسجد . فلما خرج عليّ ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن الجهم على مقدم رأسه . فدعا عليّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصّاهما وقال : أوامركما بتقوى الله ولا تغيا الدنيا وإن بة تكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصرًا . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض . وصفه ضرار بن ضمرة قال : كان عليّ بعيد المدى شديد القوى يتغير لونه من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبارة . طويل الفكرة . يحبُّه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما نجش . وكان فينا كأحدنا . يبيننا إذا سألناه ويأيتنا إذا دعوانه . ونحن مع قريبه لا تكاد نكلمه هبةً له . لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن عليّ بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتل عليّ اجتمع أصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . خسار الحسن إلى المدائن واستقرّ بها خمسة أشهر . ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيتُ أن أسلمته إلى معاوية فيكون في عنقه تبعاعته وأوزاره . فقال له الحسين أخوه : أأنت ذلك الله أن لا تكون أوّل من غاب أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بدّ من ذلك وقد اخترتُ العار على النار . وبعت إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً : فاجابه معاوية إلى ما التمس منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له خمس بقين من ربيع الأول . وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقام له الملك وصفت له الولاية . وكان معاوية ملجج الشكل عظيم الهيئة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المستومة . وكان كثير البذل والعطاء محسناً إلى رعيتيه . وهو أوّل من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجّاب وأوّل من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحرب وله في الحلم أخبار كثيرة . واعلم أن معاوية كان مريئياً

دول وسائس أمم وراعي ممالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها . منها انه وضع البريد
نوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لايتسكن
احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سير جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم
وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القديرون وكمّل بناؤها في خمس سنين .
ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : ألتئم اهلي . قالوا : بلى فداك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد
خرجت من قديم فردوها عليّ أن استطعت . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته
بالكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفخري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويح له بالخلافة يوم مات أبوه . وكان يزيد بمحصى فقدم منها وبايعه الناس . ولم
يسايعه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين
فادركوه فمحلوا عليه واصحابه واحترقوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بمكة
وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غير ونصب المنجنيق على ابي قيس ورمى به
الكمة فحرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية .
فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة
اربع وستين . وكان آدم جملداً احور العينين . بوجه آثار جذري حسن الحجة خفيفها طويلاً .
وكان موثراً الرغبة في اللهو والقتص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لاي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تغلب بالعبادة ومات
بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر
بالحجاز وال عراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويح بالاردن لمروان بن
الحكم وكان كاتب السر لعثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهلها له بالطاعة . وسار اليه من قبل
عبد الله بن زبير الضمك بن قيس . فاقتلوا بقوقة دمشق فقتل الضمك . ومات مروان
بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويح سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبيع اخاه مصعباً على العراق
فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن
مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف
الثقفى على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير
فقتله وبلغ جلده وحشاه ثبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فقيهاً عالماً وكان دينياً . فلما تولى الخلافة استهوت الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مفرماً بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بنيائه المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنعم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قنّداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهب لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا فبخص شريش فهزم الله لذريق واذنعت الاندلس لاسر الوليد . وفُتحت في ايامه القنوجات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل سبلة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسى . وفتح محمد بن القاسم الثغرى بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصى من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدمري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ — ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧٢٠ — ٧٢٥)

٣٩١ تم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو ساجم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى لدميين وخرج المهوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خساً واتخذ ابن عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهز اخاه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فقتل مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واحكاه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متحسراً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز . كان عمر عفيفاً زاهداً فاسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لبناء السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان مودة بالسم عند اهل التاريخ . فان بني امية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهده بعده الا لمن يصلح للامر فعلموه وما علموه . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من ربح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متحرراً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يتسلل هذه الايات :

خارك يا مغرور سهو وفغلة
وليك نور والردى لك لازم
يفرك ما يفنى وتفرح بالمنى
كأغر باللذات في التوم حالم
وشغلك فيا سوف تتركه غبة
كذلك في الدنيا تعيش الهائم

(٥) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويج له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايضاً . وكان ذا رأي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اثم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لرحمهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودنا الى نفسه فاسرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر النخعي . فجمع العساكر وناوش زيداً القتال فاصاب زيداً سهم في جبهته فحمل من المعركة فأت ودقن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحه

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فوريه الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة . وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللفة والنحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباح ولا اشد مجوناً وتحكاً واستخفافاً باسم الأمة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعهم وقبلة لاشتهاره بالملكرات وتظاهره بالكفر والزندقه . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة وصليب رأسه على شرافات حصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم ائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسبي الناقص فقتل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويختلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان فاذين وورع الا انه لم يتبع وبغته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويج اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخراين واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وطمعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويج له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجيمان قرب الموصل . فهزم مروان وقتل في هربه وظهرت دولة بني عباس واقترضت دولة بني أمية (لاي القدا) ثم بجواؤه تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وج	وج	وج
٦٧	وصية ابن سعيد المغربي لابنه	٣ الباب الاول في التدئين
٧٣	وصية ابن طاهر لابنه	٣ عظمة الخالق وجبروته
٨٥	وصية ابراهيم الدكدجي لابنه	٤ مان الثيبانية في التوحيد
٨٦	نخبة من حكم ابي عثمان تون التجيبي	٥ قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٦	نخبة حكم اوردها البستي في ديوانه	٦ من بدء الامالي في التوحيد
٨٥	نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦	التجارب	٩ قصيدتان له في الابتغال الى الله وحده
٨٧	الصمت وحفظ اللسان	١١ وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨	الصبر صدق النطق	١٢ قصيدة لمبد الفني النابلسي في الثقة بالله
٨٩	المكازم	١٣ قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف
٨٩	القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس	١٥ الباب الثاني في الزهد
٩٢	لامية ابن الوردي	١٥ الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله
٩٤	تونية ابي الفتح البستي	١٧ قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨	الباب الخامس في الامثال	٢٠ زهد رجل من بني عباس
٩٨	امثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد ربه	٢١ ذوالنون والزاهدة
١٠٤	ايات مثلية للنبي والحريري	٢٢ ذلة الدنيا
١٠٨	نخبة من تقييد الصادح لابن حجة الحموي	٢٣ زوال الدنيا
١٠٩	نخبة من قصيدة ابي العتاهية المثلية	٢٧ ذكر المثبة والمواقب
	الباب السادس في الامثال والاشارات	٣٣ في الذعر ونوائيه
١١٠	الملك المرقوي	٣٤ قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
	نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	٣٥ للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٧	والازهار لابن ظالم القدسي	٣٨ ما كتب على القبور
١١٨	اشارة التسم	٤١ الباب الثالث في المرائي
١١٩	اشارة الورد - اشارة للمرسين	٥٨ رثاء مشاهير العرب
١٢٠	اشارة التبرجس	٦٥ الباب الرابع في الحكم
١٢١	اشارة البان	

وجه	وجه	وجه
١٥٩	١٢٢	إشارة البهيم
١٦٠	١٢٣	إشارة الخزام
١٦٢	١٢٤	إشارة الشقيق
الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٥	إشارة السحاب
فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٦	إشارة الخزار
١٦٣	١٢٧	إشارة الباز
١٦١	١٢٨	إشارة الحمام
١٦٨	١٣٠	إشارة الخفاف
الباب التاسع في اللطائف	١٣١	إشارة البوم
١٦٨	١٣٢	إشارة الدرة
وزير المأمون والشاعر	١٣٣	إشارة الديك
١٦٩	١٣٤	إشارة البط
١٧٠	١٣٥	إشارة النحل
معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٦	إشارة الشع
١٧١	١٣٧	إشارة الغراب
الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٨	إشارة الهدمد
١٧٢	١٣٩	إشارة الكلب
١٧٣	١٤٠	إشارة الجمل
الباهلي والرشيد	١٤١	إشارة الفرس
١٧٥	١٤٢	إشارة دود القز
علي بن الخليل وزيد بن الزيد	١٤٣	إشارة المنكبوت
١٨٠	١٤٤	إشارة النملة
الباب العاشر في المدح	١٤٥	إشارة النقاء
١٨٠	١٤٦	الباب السابع في الذكاء والادب
١٨٠	١٤٧	مدح مختلف العلوم
مدح المأمون	١٤٨	ابو غمّ والمثنى وأبو عبادة الجعدي
١٨١	١٤٩	وصف القلم
مدح مقامات الحريري	١٥٠	وصف الحجرة ووصف الخط
١٨٣	١٥١	
الباب الحادي عشر في الفخر والحماسة	١٥٢	
٢٠١	١٥٣	
قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٥٤	
٢٠٥	١٥٥	
الباب الثاني عشر في الهجو	١٥٦	
٢٠٨	١٥٧	
الباب الثالث عشر في الالتغازل	١٥٨	
٢١٢		
الباب الرابع عشر في الوصف		
٢١٤		
وصف مصر		

وجه	وجه
٢٧٧	وصف دابة
٢٧٩	وصف ابليل لنفسه
٢٨٠	زهرية صني الدين الحلي
٢٨٢	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
٢٨٢	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٩٦	هارون بن عبد الله والفيل
٢٩٨	الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء
٣٠٥	مجدر والسبع
٣٠٩	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
٣٠٩	الباب السادس عشر في الفكاهات
٣٠٩	الطيب والخليفة
٣١١	الفضل بن يحيى والامراي
٣١١	الباب السابع عشر في النوادر
٣١٢	مدينة الزهراء في الاندلس
٣١٢	عجائب مصر كالمقياس والامرام والبل
٣١٣	عنزة والاسد
٣١٣	ذكر القهوه
٣١٤	الاندلس وعوائد اهلها واخترها ختم
٣١٤	الباب الثامن عشر في المراسلات
٣١٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	في الطلب وحسن التواصل
٣١٦	في الاشواق
٣١٦	فصول في الغتاب والاعتقاد
٣١٧	فصول في الذم
٣١٧	فصول في التوسية
٣١٧	فصول في المدح والشكر
٣١٧	
فصول في التهنة والهدايا	
فصول في التعزية	
فصول الى عليل	
الباب التاسع عشر في القدره جم	
شعراء النصرانية	
خطباء النصرانية	
مشاهير اطباء النصرانية	
مشاهير المؤرخين والكتاب والفلاسفة من	
اهل النصرانية	
الباب العشرون في التاريخ	
صاحب الشريعة الاسلامية محمد	
الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر	
خبر الاسود العنسي ومسيلة الكذابين	
فتح العراق والشام وموت ابي بكر	
خلافة عمر وفتح دمشق وفارس وبصر	
عثمان بن عفان	
علي بن ابي طالب	
الحسن بن علي بن ابي طالب	
دولة الامويين خلافة معاوية	
خلافة يزيد بن معاوية	
معاوية الثاني ومروان بن الحكم	
عبد الملك بن مروان	
عبد الوليد بن عبد الملك	
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز	
يزيد الثاني وهشام	
الوليد الثاني ويزيد الثالث	
ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني	

